Journal of the Faculty of Arts (JFA)

Volume 83 | Issue 3 Article 1

7-1-2023

Rawda Island in the Middle Ages Studies in historical geography

wael mustafa
kafrelsheikh, wael_hassien@art.kfs.edu.eg

Follow this and additional works at: https://jfa.cu.edu.eg/journal

Part of the Physical and Environmental Geography Commons

Recommended Citation

mustafa, wael (2023) "Rawda Island in the Middle Ages Studies in historical geography," *Journal of the Faculty of Arts (JFA)*: Vol. 83: Iss. 3, Article 1.
DOI: 10.21608/jarts.2022.160487.1285
Available at: https://jfa.cu.edu.eg/journal/vol83/iss3/1

This Original Study is brought to you for free and open access by Journal of the Faculty of Arts (JFA). It has been accepted for inclusion in Journal of the Faculty of Arts (JFA) by an authorized editor of Journal of the Faculty of Arts (JFA).

جزيرة الروضة في العصر الوسيط
دراسة في الجغرافيا التاريخية (*)

د.إيمان عيد عبد الحميد
مدرس الجغرافيا التاريخية
كلية البنات– جامعة عين شمس

د. وائل مصطفي محمود
مدرس الجغرافيا التاريخية
كلية الآداب – جامعة كفر الشيخ

الملخص:

اول هذا البحث دراسة الملامح الجغرافية الطبيعية والبشرية لجزيرة الروضة، على النحو التالي–:

أولا: فيما يتعلق بموقع الجزيرة وموضعها تبين أن الجزيرة اكتسبت أهميتها من خلال تفردها فى خصائص الموقع والموضع كما اكتسب موقعها أهميته من خلال كونه أحد مواقع المعابر المهمة وكونها جزيرة نهرية، بل هى أقدم الجزر النهرية التى ظهرت فى منطقة القاهرة قبل الفتح العربي.

أما بالنسبة لموقعها العمرانى فقد اتضح انها لا تبعد عن عمران وسط العاصمة، فهى تقع فى أقصى القطاع الغربي منه ولا يفصلها عنه سوى شقة مائية ضيقة (السيالة) أما بالنسبة لخصائص الموضع فقد أثرت ظروف الموضع بوضوح على شكل الكتلة العمرانية للجزيرة، من حيث امتداها الطولى ، كما حددت نقاط المناسيب انحدارات البدايات الاولى للنمو واتجاهاته إذ نشأت النوايات الاولى للعمران فى قلب الجزيرة فى المناطق البعيدة عن اخطار الفيضان، حيث المناسيب المرتفعة

ثانيا:– من حيث التطور العمرانى للجزيرة اتضح من الدراسة وتتبع التطور العمرانى للجزيرة أنها ظلت خلال الفترات التاريخية منذ الفتح العربي وحتى العصر الحديث محور اهتمام الحكام والسلاطين فى مصر بفضل تفرد موقعها وموضعها، وقد اتسمت بأهميتها الجغرافية التاريخية والاقتصادية والحربية ،حيث ظلت الحصن الرئيسي ومركز الحكم والادارة للعاصمة المصرية خلال عصرى الدولة الطولونية والايوبية ، كما عمرت بالقصور والبساتين حتى

(*) **مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة المجلد (٨٣) العدد (٥) يوليه ٢٠٢٣.**

صارت ضاحية سلطانية من الضواحى المهمة ومتنزها ملكيا مهما ومقصدا للعامة والخاصة بهدف التنزه والترفية خاصة للدولة الاخشيدية والفاطمية، وكذلک اختصاصها باستخدامات الصناعة مثل صناعة السفن واعتبارها حصنا منيعا وملائما لقيام القلاع والحصون مثل حصن أحمد بن طولون ،والقلعة الصالحية ومعبرا لحصن الجيزة.

Abstract :

His research dealt with the study of the natural and human geographical features of Al-Rawda Island, as follows:-

First: With regard to the location of the island and its location, it was found that the island gained its importance through its uniqueness in the characteristics of the location and location. Its location also gained its importance by being one of the important crossing sites and being a river island. Rather, it is the oldest river island that appeared in the Cairo area before the Arab conquest.

As for its urban location, it turned out that it is not far from Amran, the center of the capital. The elevation points also determined the slopes of the first beginnings of growth and its directions, as the first intentions of urbanization arose in the heart of the island in areas far from the dangers of flooding, where the elevations are high.

Second: - In terms of the urban development of the island, it became clear from the study and tracking the urban development of the island that it remained during the historical periods from the Arab conquest until the modern era, the focus of attention of the rulers and sultans in Egypt thanks to the uniqueness of its location and position. Governance and administration of the Egyptian capital during the eras of the Tulunid and Ayyubid states, as it was built in palaces and orchards until it became an important suburb and an important royal park and a destination for the public

مقدمة :

الجزيرة النهرية الوحيدة الواقعة في مواجهة عاصمة مصر الأولى(الفسطاط) في القطاع الشرقي من مجرى النيل الرئيس بين مصر القديمة ومدينة الجيزة هي **جزيرة الروضة،** والتي تجنح في موقعها نحو العاصمة فلا يفصلها عن النيل إلا سيالة الروضة.. وقد تم الاستفادة منها بوصفها بقعة منفصلة يمكن أن تختص باستخدامات باعتبارها جزيرة للصناعة (صناعة السفن) واختيارها لبعض الوقت من قبل السلاطين بوصفها ضاحية سلطانية يجد فيها السلطان الاستقلالية والتفرد في الموضع وحمايته، وتحقيق كافة سبل الترويح من خلال بساتينها، كما شهدت قيام القلعة الصالحية بوصفها حصنًا منيعًا يسهل حمايته.

موضوع الدراسة

جزيرة الروضة في العصر الوسيط، موضوع تحاول فيه الدراسة الحالية إلقاء الضوء على واحدة من أهم الجزر النيلية في مصر العصر الوسيط، بحكم الأهمية التاريخية والسياسية والاقتصادية والحربية لها، وذلك من خلال تحقيق مسميات الجزيرة ونشأتها التاريخية، ثم تناول شكل الجزيرة ومساحتها والحديث عن موضعها وموقعها، ثم التطرق لعرض الملامح الطبوغرافية للجزيرة وأثر السطح في النمو العمراني للجزيرة في العصر الوسيط، وأخيرًا تناول أشكال العمران في الجزيرة وفي ثنايا الحديث نعرض لأهمية الجزيرة عبر العصر الوسيط.

أسباب اختيار الموضوع

١-عظم أهمية جزيرة الروضة في العصر الوسيط على كافة الجوانب السياسية والاقتصادية والحربية.

٢- اختلاف الجزيرة عمرانيًّا عن بقية الجزر النيلية قاطبة في البلاد المصرية التي كانت سمتها الاستخدام الزراعي... على حد قول **ابن إياس** "إنما سميت بالروضة لأنه لم يكن في الديار المصرية بقعة تشاكلها أو مثلها، وكانت حصينة وفيها من البساتين والثمار ما لم يكن في غيرها".

٣- هي الجزيرة النهرية الوحيدة الواقعة في مواجهة العاصمة الأولى لمصر (الفسطاط)، ومن ثم أصبحت المعبر بين شاطئي النهر.

٤- وقوعها في دائرة اهتمام الملوك والسلاطين لقربها من العاصمة ولوجود أماكن ترويح لهم بالإضافة إلى وقوعها ضمن الديوان السلطاني [١].

مناهج الدراسة

قامت الدراسة على استقصاء المادة الجغرافية من مصادرها متتبعة الترتيب التاريخي، ثم تحليلها وإعادة صياغتها جغرافيًّا بهدف التعرف على جزيرة الروضة في العصر الوسيط.

ولقد اتبع في هذه الدراسة المنهج التاريخي الذي يهتم بدراسة تاريخ الظاهرة وبُعدها الزمني خلال العصر الوسيط، هذا بالإضافة للمنهج التحليلي الذي يرصد طبيعة جزيرة الروضة، خاصة الجانب العمراني منها، كما استخدم الباحث المنهج الوصفي وذلك من أجل تشكيل الهيكل العام للدراسة في ظل ندرة المادة العلمية وتفرقها في شذرات دقيقة.

الدراسات السابقة

ليس هناك من دراسات سابقة تعرضت لجزيرة الروضة في الفترة الزمنية التي تم اختيارها وهي العصر الوسيط، إلا أن هناك عدد من الدراسات التي أمكن الاستفادة منها في استكمال معالجة هذه الدراسة، نذكر منها:

- دراسة عبد العال عبد المنعم الشامي: مصر عند الجغرافيين العرب فيما بين القرنين الثالث والثامن الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، القاهرة، ١٩٧٣.
- محمد عبد العزيز السيد: جزيرة الروضة وآثارها الدارسة حتى نهاية العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة،١٩٧٧.
- دراسة رضا إسماعيل أحمد: جغرافية الأعمال الجيزية والأطفيحية، رسالة دكتوراة غير منشورة، قسم الجغرافيا، كلية البنات، جامعة عين شمس، ٢٠٠٥.

هدف الدراسة

تهدف الدراسة إلى تحقيق الغاية من أية دراسة في الجغرافيا التاريخية، وهي رسم صورة للجغرافيا خلال فترة ماضية، لأن الحاضر يكتسب قيمة وأصالة بالرجوع إلى الماضي، لهذا جاءت هذه المحاولة لاسترجاع الصورة الجغرافية لجزيرة الروضة التي كانت سائدة في العصر الوسيط وذلك من خلال:

١- التعرف على الملامح الجغرافية للجزيرة بكافة عناصرها بوصفها قاعدة رئيسية يمكن من خلالها فهم البيئة العمرانية والوظيفية من خلال دراسة الموقع والموضع وخصائصهما.
٢- تتبع ورصد كافة مراحل التطور العمراني ونشأة الجزيرة منذ الفتح العربي وحتى الفتح العثماني، لإبراز مكانتها التاريخية وشخصيتها المتفردة من خلال وظائفها وأهميتها على مر هذه الفترات التاريخية.
٣- إلقاء الضوء على التركيب الوظيفي والعمراني للجزيرة، وأنماط الاستخدامات المختلفة.

كانت جزيرة الروضة بحكم موقعها أمام مدينة مصر (الفسطاط) – عامرة بالناس على مر العصور، وقد تطورت حركة العمران بها، وهي تختلف في ذلك عن بقية الجزر النيلية في البلاد المصرية، والتي كانت سمتها الاستخدام الزراعي، وذلك لقربها من العاصمة [٢].

ولذلك يقول عنها ابن دقماق [٣] هي جزيرة في وسط البحر والبحر دائر عليها من جميع جهاتها، وهي بين الفسطاط والجيزة، وبطرفها من الجنوب دار المقياس وكانت حصينة وفيها من البساتين والثمار ما لم يكن في غيرها.

ويحدثنا عنها المقريزي [٤] فيذكر أنها "يطلق عليها الروضة في زماننا، وهي الجزيرة التي بين مصر والجيزة، وقد عرفت في أول الإسلام بالجزيرة وبجزيرة مصر، ثم قيل لها جزيرة الحصن، وعرفت بالروضة في زمن الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش إلى اليوم".

والعمران بجزيرة الروضة قديم وسابق للفتح العربي، ومع قيام مدينة الفسطاط كعاصمة لمصر الإسلامية اكتسبت جزيرة الروضة أهمية واضحة ليس فقط باعتبارها من ضواحي الفسطاط، ولكن لكونها المعبر الواصل بين شاطئي النيل، ومن ثم ارتباط العاصمة بالصعيد والإسكندرية وذلك من خلال الجسرين، ولهذا اكتسبت جزيرة الروضة أهمية حربية واقتصادية وسياسية باعتبارها معبرًا للجند، وموضعا لصناعة السفن، وسبيلا لشبكة من الطرق البرية في المعمور وخارجه تربط العاصمة بالوادي وخارجه وبالدلتا وما يحف بها من طرق خارجية [٥].

تحقيق مسميات الجزيرة ونشأتها التاريخية:

إن الأصل في تسميتها خاصة في أوائل العصر الإسلامي هو "الجزيرة"، كما ذكر المقريزي [٦] "أن الروضة تطلق في زماننا هذا على الجزيرة التي بين مدينة مصر ومدينة الجيزة، وقد عرفت في أوائل الإسلام بالجزيرة وبجزيرة مصر "وهو ما أكده ياقوت الحموي حينما أشار إلى أن الروضة هي جزيرة

مصر، وأنها محلة من محال الفسطاط، وإنما سميت جزيرة لأن النيل إذا فاض أحاط بها الماء فحال بينها وعظم الفسطاط فاستقلت بنفسها [٧]. كما وردت بالتسمية نفسها عند ابن حوقل في كتاب المسالك [٨]. بينما عرفت بعد الفتح العربي بجزيرة الصناعة [٩]، فقد أنشئت بها أول دار لصناعة السفن والسواني في عام ٥٤هـ / ٦٧٤م، حيث أقيمت على الطرف الجنوبي الشرقي لها مما يوضح الدور المهم الذي كانت تلعبه الجزيرة بالنسبة لتأمين العاصمة والدولة الإسلامية.

كما عرفت الجزيرة أيضا باسم جزيرة الفسطاط وجزيرة فسطاط مصر [١٠]، بينما وردت عند الإدريسي [١١] باسم (دار المقياس) نسبة إلى المقياس الواقع في طرفها الجنوبي.

أيضا ذكرها المقريزي وأورد مجمل مسمياتها التي أطلقت عليها فقال: "وقد عرفت في أوائل الإسلام "بالجزيرة وبجزيرة مصر، ثم قيل لها جزيرة الحصن"[١٢] وذلك نسبة إلى حصن أحمد بن طولون الذي بناه فيها وعمره لأهله، ومن قبله الحصن الذي احتمى به الروم عند الفتح فالجزيرة كانت ذات منعة بحصونها عند الفتح العربي، وكانت تزيد من قوة حصن بابليون وخطره الحربي لأنها كانت تملك زمام النهر في وسطه [١٣].

ثم عرفت باسم جزيرة الروضة [١٤]، وقد ظل اسمها حتى الآن نسبة إلى البستان الذي أنشأه الأفضل شاهنشاه الأمير بدر الجمالي في العصر الفاطمي. وقد نقل جلال الدين السيوطي عن الإمام زين الدين الوردي "أن قبالة الفسطاط الجزيرة المعروفة بالروضة، وهي جزيرة يحيط بها بحر النيل من جميع جهاتها، بها نزه ومقاصد وقصور ودور وبساتين"[١٥].

بينما علل ابن تغرى بردى تسميتها بالروضة فقال: "إنما سميت جزيرة مصر الروضة لأنه لم يكن في الديار المصرية بقعة تشاكلها أو مثلها وبحر النيل داير عليها، وكانت حصينة وفيها من البساتين والثمار ما لم يكن في غيرها"[١٦].

شكلها ومساحتها:

لم يحدث تغيير في شكل الجزيرة وإطارها الخارجي كما حدث في جزر القاهرة الأخرى، ولكن كانت هناك تغييرات طفيفة وذلك لأن مياه النيل كانت تنحت من طرفها الجنوبي لترسب في طرفها الشمالي وتنحت من طرفها الشرقي لترسب في الجانب الغربي، كما كان هناك أجزاء من الجزيرة في الجنوب والشرق تبلغ الربع تقريبًا تطغى عليها المياه وقت الفيضان، وتنحسر عنها وقت التحاريق، وظلت على هذا النحو حتى امتدت إليها يد الإنسان واستطاعت أن تبني الحواجز الحجرية على سواحلها التحكم في عدم طغيان النهر عليها [١٧].

ويصف "الإدريسي" الجزيرة في زمنه (ت ٥٦٠هـ / ١١٦٥م) "بأن طرفها الاعلى – حيث المقياس – ووسطها أعرض من رأسها والطرف الثاني محدود"، ويذكر أيضًا الجزيرة فيقول "أن طولها من رأس إلى رأس ميلان وعرضها مقدار رمية سهم"[١٨].

وتبلغ مساحة الجزيرة الآن ٣١٨ فدانًا (٣١٨ كيلو متر مربع) وهي مستطيلة الشكل تقريبًا وطرفاها مدببان، ويبلغ متوسط طول الجزيرة من طرفها الشمالي (عند فندق ميريديان الآن) وبين طرفها الجنوبي عند المقياس ٣٢٠٠ متر تقريبًا، كما أن عرضها في وسط هذه المساحة من فرع النيل الشرقي إلى فرعه الغربي ٦٠٠ متر في المتوسط [١٩].

أ- موقع جزيرة الروضة:

تقع جزيرة الروضة أمام مدينة مصر (الفسطاط) في القطاع الشرقي من مجرى النيل الرئيسي بين مصر القديمة ومدينة الجيزة[٢٠]، شكل(١) وتجنح في موقعها نحو العاصمة فهي قريبة من الشاطئ الشرقي للنهر ولا يفصلها عنه إلا سيالة الروضة، ولولا الجهود البشرية لكان من المتصور التحام جزيرة الروضة بالبر الشرقي، لكن العامل البشرى كان من وراء بقائها على صفتها للاستفادة منها بوصفها بقعة منفصلة يمكن أن تختص باستخدامات باعتبارها جزيرة للصناعة (صناعة السفن)، واختيارها لبعض الوقت بوصفها ضاحية سلطانية

يجد فيها السلاطين الاستقلالية والتفرد في الموضع وحمايته، وتحقيق كافة سبل الترويح من خلال بساتينها، كما شهدت في تاريخها قيام القلعة الصالحية بوصفها حصنًا منيعًا يسهل حمايته(٢١).

وجزيرة الروضة هي الجزيرة النهرية الوحيدة الواقعة في مواجهة العاصمة الأولى لمصر (الفسطاط)، ومن ثم أصبحت المعبر بين جيزتي النهر أي شاطئيه، وظهرت الجيزة بوصفها حصنًا حربيًّا متقدمًا في بداية النشأة في مقابل العاصمة، وكانت جزيرة الروضة المعبر لهذا الحصن من خلال الجسرين (٢٢).

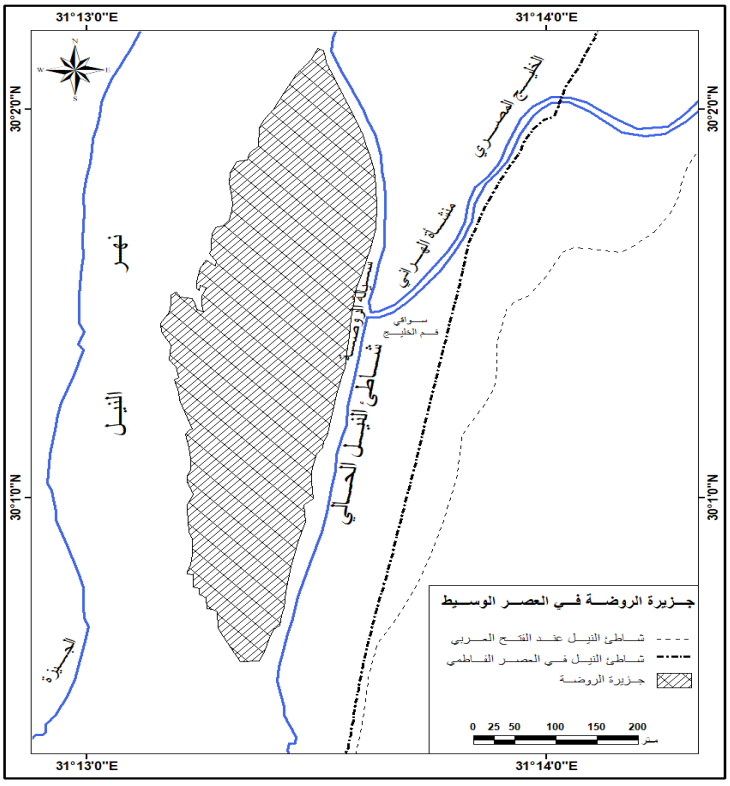

شكل (١)

ب- موضع جزيرة الروضة:

تتميز جزيرة الروضة – لكونها جزيرة نهرية – بخصوبة أراضيها، وتجدد هذه الخصوبة سنويًّا، ومن ثم فقد شهدت قيام عدة بساتين كانت وراء جذب السلاطين والحكام للحياة فيها واتخاذها متنفسًا للترويح خصوصًا مع قربها المكاني من القاهرة، وهذا ما يميز تاريخها العمراني في عصر الفاطميين ثم زمن حكم الأيوبيين، وقد كانت مزايا الموضع هذه وراء بقاء حياة جزيرة الروضة العمرانية. فعلى الرغم مما حدث من تغييرات سياسية لم تتعرض الجزيرة لما تعرضت له مناطق أخرى كانت عامرة ثم تدهورت لقلة مقومات مواضعها (٢٣).

ويعرف الموضع بأنه فكرة محلية موضعية بحتة تنصرف إلى رقعة الأرض التي تقوم عليها المراكز العمرانية، وهو لا يتغير. وتتسم خصائص الموضع بأنها شديدة المحلية لا تتكرر عادة، إذ تخضع المدن والمراكز العمرانية في نموها لكثير من العوامل التي يتصل بعضها بالموضع وطبوغرافيته، حيث إنه كثيرًا ما يحدد نوع الوظيفة التي يقوم من أجلها المركز العمراني، وما يؤديه من خدمات ضرورية للمجتمع المحيط به (٢٤).

وقد ثبت من دراسة البعد التاريخي لموضع جزيرة الروضة أثره الواضح في نشأتها الأولى ونموها المبكر نظرًا لما تميزت به من حصانة دفاعية وأمنية بوصفها جزيرة تحيط بها المياه من جميع الجهات، بل وأصبحت بفضل هذا الموضوع مركزًا للحكم والإدارة في مصر خلال بعض الفترات التاريخية، إذ يعتبر الجانب الأمني من الأمور المهمة التي لا يمكن تجاهلها عند دراسة هذه المواضع، بالإضافة لأهميتها الاقتصادية التي اكتسبتها بفضل ظروفها الموضعية حيث يعد موضعها أحد العوامل الرئيسية التي ساعدت على استمرار بقائها على مر الفترات التاريخية دون غيرها من الجزر النهرية الأخرى التي ظهرت بعدها.

الملامح الطبوغرافية وأثر السطح في النمو العمراني للجزيرة.

وفقًا لما سبق سوف نتناول في هذا الجانب من البحث دراسة خصائص موضع جزيرة الروضة من حيث الملامح الطبوغرافية وأثر السطح في النمو العمراني للجزيرة، فلقد لعبت الملامح الطبوغرافية دورًا بارزًا في تحديد الشكل العام للجزيزة وخطتها وامتداد محاور نموها، حيث انعكست ظروف الموضع على شكل الكتلة العمرانية وامتدادها والتي تتخذ محورًا شماليًّا جنوبيًّا يتناسب مع طبيعتها باعتبارها جزيرة طولية.

كما أن للخريطة الكنتورية شكل (٢) أهميتها في توضيح خصائص السطح من حيث المناسيب والانحدارات واتجاهاتها والتي ظهرت انعكاساتها على اتجاهات النمو العمراني خاصة في الفترات المبكرة للنمو، إلى جانب تأثير خطوط الكنتور على اتجاهات شبكة الصرف بالجزيرة والتي اعتمدت في تصميمها على عامل الانحدار بالدرجة الأولى والذى يعد أحد العناصر الطبيعية الرئيسية التي توجه العمران وتحديد امتداده واتساعه[٢٥]، فضلًا عن تأثير العوامل الطبوغرافية في تحديد شكل واتجاهات شبكة الشوارع التي ارتبطت في تخطيطها بامتداد الجبهة النهرية شرق وغرب الجزيرة.

ويمكن أن نلاحظ من الخريطة الكنتورية للجزيرة أن منسوب سطح الجزيرة يتراوح بين خطي كنتور ١٦,٥م فوق مستوى سطح البحر باعتباره أدنى منسوب وبين خط كنتور ٢٣م فوق مستوى سطح البحر بوصفه أعلى نقطة، مما يعني أن أراضي سطح الجزيرة تتميز بالاستواء وقلة الانحدار خاصة في مناطق غرب ووسط الجزيرة، وهو ما يبدو من تباعد خطوط الكنتور، ويشكل هذا القطاع نحو ثلثي أراضي الجزيرة، بينما يشتد الانحدار نسبيا في الأجزاء الشرقية منها خاصة الجزء الجنوبي الشرقي، وقد كان لبساطة سطح الجزيرة وعدم التعقيد أثرهما الواضح في انتشار العمران على أراضيها، الذي تخير في

بداياته كما هو واضح من خريطة النمو العمراني خلال العصر الفاطمي والمملوكي كما سيأتي.

والتي تمثل النويات القديمة للعمران مناطق المناسيب المرتفعة في الداخل على خطي كنتور ٢٢م، ٢١م تجنبا لأخطار الفيضان كما هو واضح في قرية المنيل وعشش الروضة والنطاق الممتد شرقًا حول زاوية الكازروني وزاوية البسطامي في الجنوب.

ومن خلال دراسة العلاقة بين الخريطة الكنتورية والنمو العمراني للجزيرة نجد أن انخفاض المناسيب خصوصًا في الأجزاء الغربية للجزيرة مع الاستفادة من الجبهة النهرية قد ساهم في تركز العمران السياحي والترفيهي والخدمي في هذه المناطق الشاطئية، وقد أمكن هنا رسم عدد من القطاعات التضاريسية الطولية والعرضية التي تحدد الخصائص الجيومورفولوجية لأراضي الجزيرة كما يوضحها شكل (٣)، حيث أبرز القطاع الطولي الذي يأخذ شكلًا محدبًا نسبيًّا استواء سطح أراضي الجزيرة، وتركز أغلب الإرسابات وسط وشمال الجزيرة، وهو ما يتماشى مع حقيقة حداثة الأراضي الشمالية بها، الأمر الذي أثر على تأخر نموها عمرانيًّا بسبب عدم اكتمال نضجها الفيزيوجرافي، فكانت الأجزاء الجنوبية هي الأقدم في النمو وبخاصة بعد تسوية أراضي الجزيرة وإعادة تخطيطها. أما القطاعات العرضية فإنها تتخذ الشكل المحدب الذي يدل على تركز الإرساب في مناطق شرق ووسط الجزيرة بينما يقل في الأجزاء الغربية منها، مما يدل على أن هذه الأجزاء الشرقية والوسطي كانت الأكثر تعرضًا للغمر المائي.

وعلى الرغم من هذا فإن تزايد الأهمية المكانية والوظيفية للجزيرة قد فرض نموا عمرانيًّا مطردًا غطى كل أراضيها دون التقيد بأي من العوامل التضاريسية.

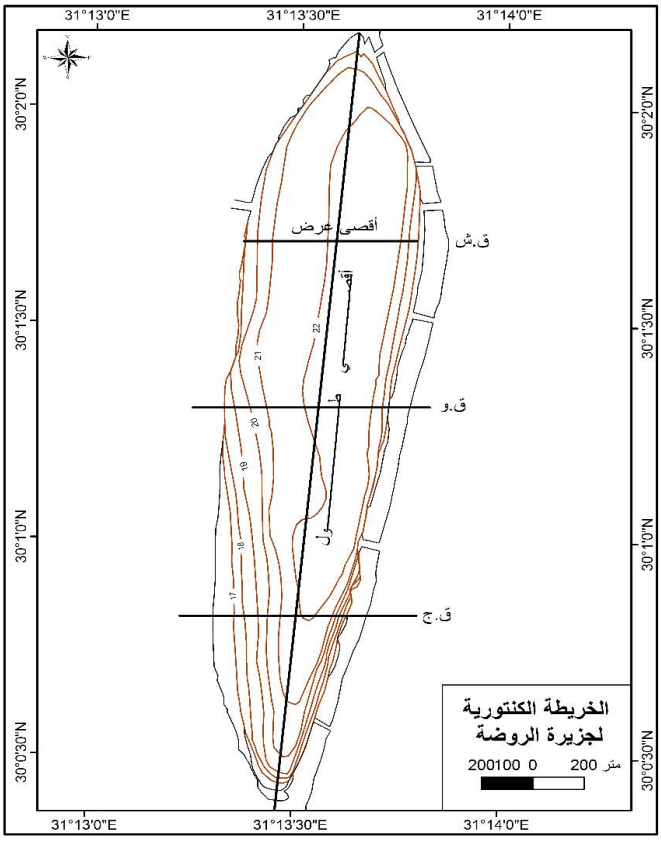

شكل (٢)

المصدر: مصلحة المساحة المصرية، خرائط بمقياس ١:٢٥٠٠٠

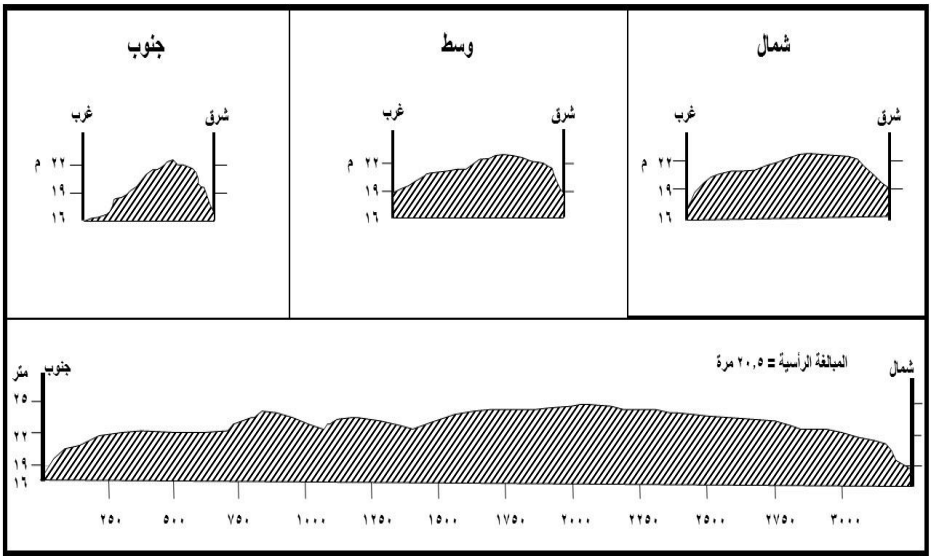

القطـاعات التضاريسية الطولية والعرضية لجزيرة الروضة

شكل (٣)

المصدر: الباحثة بناءً على ما صدر من مصلحة المساحة المصرية مقياس ١:٢٥٠٠٠

النمو العمراني لجزيرة الروضة في العصر الوسيط

قبل تناول النمو العمراني لجزيرة الروضة في العصر الوسيط، تجدر الإشارة إلى العوامل المؤثرة في التطور العمراني لجزيرة الروضة خلال هذه الفترة الزمنية المهمة من تاريخ الجزيرة، وذلك على النحو التالي:

١- العلاقات المكانية للجزيرة بفضل موقعها الجغرافي:

تميزت جزيرة الروضة بقرب طرفها الجنوبي من الفسطاط، ومع أهمية هذا الموقع فقد كان هذا الطرف في الوقت نفسه في مقابل مدينة الجيزة التي نشأت بوصفها حصنًا للفسطاط عند الفتح العربي، وقد ساهم هذا في إقامة

علاقات مكانية مهمة ومتفردة تميزت بها الجزيرة خصوصًا مع استمرار إقامة الجسور في طرفها الجنوبي، وبذلك صارت الجزيرة السبيل الوحيد للربط بين العاصمة (على الضفة الشرقية) وكل المعمور المصري في غرب الدلتا وصولًا إلى الإسكندرية على الساحل الشمالي لمصر، ومنها إلى ما يليها غربًا على طول الساحل الشمالي الأفريقي من خلال الطريق الداخلي إلى واحة سيوة، ثم إلى الواحات الليبية والتونسية والجزائرية والمغربية. ولما كانت الجزيرة بهذه الأهمية بوصفها معبرًا رئيسيًّا بين ضفتي النهر فقد أثر ذلك تأثيرًا واضحًا في انتشار العمران بها ونموه على مر الفترات التاريخية.

٢- إقامة الجسور لتدعيم وظيفة الجزيرة بوصفها معبرًا وحيدًا ورئيسيًّا في منطقة العاصمة

تعد فكرة ربط ضفتي النيل الشرقية والغربية في منطقة القاهرة عبر جزيرة الروضة فكرة قديمة، وقد برزت لكفاية متطلبات العبور وربط الوجه القبلي بالوجه البحري [٢٦]. حيث تم ذلك من خلال جسرين أقيما في الطرف الجنوبي للجزيرة أمكن من خلالهما تدعيم العلاقات المكانية لها، شكل (٤) إذ لم تكن هناك جسور تربط جزيرة في نهر النيل بشاطئيه على طول التاريخ إلا جزيرة الروضة [٢٧]. وكان هذان الجسران من الخشب، وهما عبارة عن مراكب مصطفة بعضها بحذاء بعض، وهي موثقة ومن فوقها أخشاب ممتدة فوقها تراب، وكان أصغر هذه الجسور هو الجسر الذي يربط بين الفسطاط وطرف الجزيرة الجنوبي، أما الجسر الأكبر فهو ما كان يربط بين الجزيرة والجيزة [٢٨]. وكانت هذه الجسور تقوم بدور مهم في الربط بين العاصمة وضواحيها عبر جزيرة الروضة، لذا فقد لقيت هذه الجسور اهتمامًا بالغًا من الملوك والسلاطين بهدف استمرار هذا الربط واستمرار حركة النشاط التجاري لميناء الفسطاط النهري، والاتصال ما بين مركز الحكم وبين الدولة. وأقدم هذه الجسور هو ما عبر عليه المقوقس إلى حصن الجزيرة عند الفتح ثم أمر بقطعه وتخريبه[٢٩]، وقد أعيد بناؤه بعد الفتح العربي، كما أعاد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله

بناءه للدخول إلى منظرة[٣٠] دار الصناعة، ومع قيام القلعة الصالحية اهتم بتجديده الملك الصالح نجم الدين أيوب، وبعد هدم القلعة أهمل الجسر إلى أن جدده وعمره الظاهر بيبرس ٦٨٨هـ مرة أخرى، وجدد المراكب فيما بين ساحل مصر والروضة إلى الجيزة بهدف عبور العسكر عليه، وتسهيل انتقال الجند من العاصمة إلى البر الغربي (الجيزة) عندما يهددها خطر الفرنج[٣١].

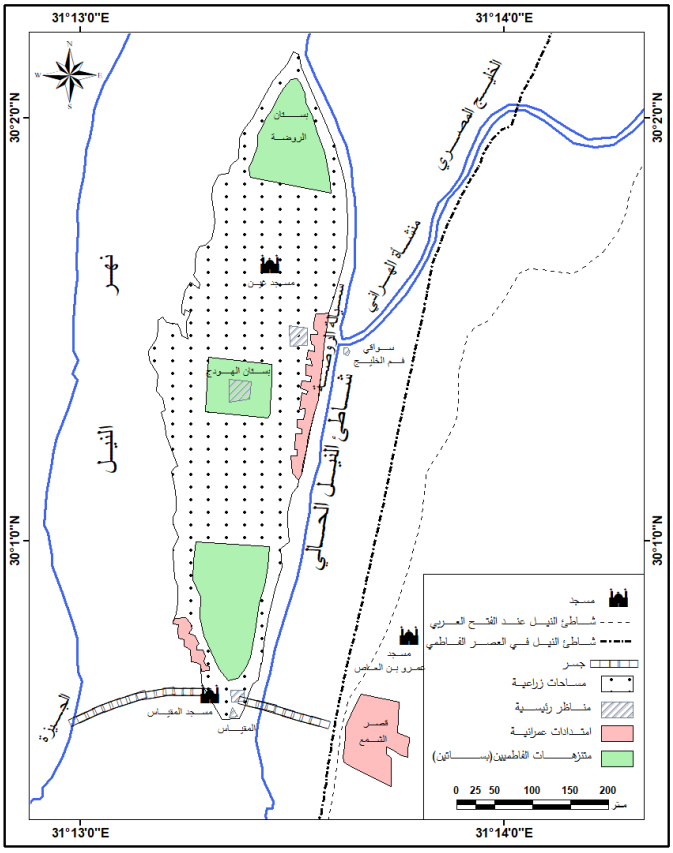

الملامح العمرانية الرئيسية لجزيرة الروضة في العصر الفاطمي

شكل (٤) المصدر: عبد العال الشامي، مصر عند الجغرافيين العرب فيما بين القرنين الثالث والتاسع الهجري، رسالة ماجستير، قسم الجغرافيا، جامعة القاهرة، ١٩٧٣، ص٣٠٧.

وفي إطار الاهتمام بإقامة جسور في الروضة تصلها بضفتي النهر جاء أيضًا حرص الحكام والسلاطين في الإبقاء على جريان الماء في الفرقة المائية الفاصلة بين الجزيرة والبر الشرقي المعروفة بـ (السيالة) بهدف استمرار عمل الميناء النهري للجزيرة في مواجهة مدينة الفسطاط، كما أن إقامة المقياس في الجنوب كانت تستلزم استمرار بقاء الماء في السيالة لضمان دخول الماء إلى فسقية المقياس، وحتى تستمر الجزيرة متفردة في خصائصها من حيث الخصوصية والمنعة والحماية بفضل هذا الفاصل المائي.

وعن هذان الجسران يحدثنا ابن دقماق [٣٢] فيقول "وبينها وبين الفسطاط جسر وبينها وبين الجيزة جسر من خشب يمشي عليه الناس والبهائم والخيل والجمال وغير ذلك"

وهي جسور مقامة على النيل بين الجيزة والقاهرة عبر جزيرة الروضة، وهي عبارة عن جسرين خشب بين الفسطاط والروضة وبين الروضة والجيزة، وهما عبارة عن مراكب مصطفة بعضها بحذاء بعض وهى موثقة، ومن فوق المراكب أخشاب ممتدة فوقها تراب، وكان عرض الجسر ثلاث قصبات، ثم أحدث الخليفة المأمون جسرًا آخر عام ٢١٧هـ، ومع قيام القلعة الصالحية بجزيرة الروضة أصبح الجسر الواصل بين الفسطاط والجزيرة خاصًا بالسلطان الصالح نجم الدين أيوب عام ٦٣٨هـ احترامًا له، وكان أكثر جواز الناس بأنفسهم ودوابهم في المراكب، وبعد خراب قلعة الروضة زمن المعز أيبك بعد عام ٦٤٨هـ أهمل الجسر إلى أن عمره الظاهر بيبرس عام ٦٦٨هـ على المراكب، وعمله من ساحل مصر إلى الروضة ومن الروضة إلى الجيزة لأجل عبور العسكر عليه لما بلغه حركة الفرنج (واضح أن من بين أهداف قيام الجسرين سهولة انتقال الجند من العاصمة إلى البر الغربي (الجيزة) ومنها إلى الإسكندرية عندما يهددها الفرنج). ويمتد جسر الروضة من عند المدرسة الخروبية (ساحل مصر الفسطاط) بجوار قصر الشمع (انظر شكل ٤) جنوب

دير (دار) النحاس [٣٣]. وجسر الروضة – الجيزة فهو يمتد من الجهة المقابلة للمقياس غربًا إلى مدينة الجيزة حيث شارع البحر الأعظم قرب الجيزة.

بالرغم من النشاط الزراعي وانتشار البساتين بجزيرة الروضة منذ القدم فإنها كانت بحكم موقعها أمام مدينة الفسطاط عاصمة مصر عامرة بالسكان والعمران، بخلاف الجزر النيلية الأخرى التي كانت تستخدم للزراعة على وجه العموم، بالإضافة لكونها متنزه العاصمة حينئذ والمتنزهين والمتفرجين بها لا ينقطعون عنها لذلك فقد عمرت عمارة عظيمة منذ الفتح الإسلامي حتى وقتنا هذا.

وكان الجزء الجنوبي من الروضة أكثر تعميرًا بحكم الموقع ومواجهته لمصر القديمة حتى قبل الفتح الإسلامي، كما أنه كان عريضًا حيث إن الطرف الشمالي للجزيرة كان ضيقًا وأحدث نشأة كما هو ثابت جغرافيًّا أن الأطراف الشمالية من الجزر هي الأطراف النامية والمنخفضة في الوقت نفسه لذا تمركز العمران في الجزء الجنوبي من الجزيرة في حين أن الطرف الشمالي للجزيرة كان هو المستغل في الزراعة والبساتين، بالإضافة لوجود الجسور الرابطة بين الجزيرة وكل من الفسطاط والجيزة بالجزء الجنوبي منها. [٣٤]

وقد كان لجزيرة الروضة دور في الأحداث التي صاحبت الفتح الإسلامي لمصر فقد كان بها القلعة تحصن بها الروم بقيادة المقوقس حاكم مصر حينئذ بعد أن قطعوا الجسر الواصل بينهم والشاطئ الشرقي للنيل، ولما انتصر جيش المسلمين بقيادة عمرو بن العاص خرب أبراجها وأسوارها، وقد كانت هذه الأسوار مستديرة عليها. [٣٥]

<u>الجزيرة في زمن الدولة الأموية (٤١هـ – ١٣٢هـ / ٦٦١ – ٧٥٠م):</u>

صار للجزيرة دور مهم منذ بداية الدولة الأموية وذلك لأن الوالي مسلمة بن مخلد الأنصاري (٤٧ – ٦٢هـ / ٦٦٧ – ٦٨١م) أنشأ بها سنة ٥٤هـ / ٦٧٤م دار الصناعة التي كانت تصنع بها السفن البحرية بنوعيها الحربية والتجارية، وكذلك ازداد العمران بالجزيرة فبنيت بها الدور والقصور المشرفة

على النيل في فترة حكم الوالي عبد العزيز بن مروان (٦٥ – ٨٥هـ / ٦٨٥ – ٧٠٤م) الذي عين للجزيرة والي يتولى الحكم [٣٦] بها نتيجة ذلك العمران، كما كان يوجد بالجزيرة في أيامه فرقة من ٥٠٠ فاعل معدة لمقاومة أي حريق أو هدم يكون في البلاد. [٣٧]

وكان بالجزيرة عدد كبير من الحوانيت ملكًا للخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦ – ٩٦هـ / ٧٠٥ – ٧١٤م) لا سيما في جزئها الجنوبي [٣٨]، وهذه الحوانيت دليل آخر على العمران الكبير الذي كانت عليه الجزيرة في زمن الدولة الأموية.

وفي فترة خلافة سليمان بن عبد الملك (٩٦ – ٩٩هـ / ٧١٥–٧١٧م) بنى أسامة بن زيد التنوخي عامل الخراج بمصر مقياسًا بها سنة ٩٧هـ / ٧١٦م، وهو أول مقياس يبنى في الإسلام [٣٩].

<u>الجزيرة في زمن الدولة العباسية (١٣٢ – ٦٥٦هـ / ٧٥٠ – ١٢٥٨م):</u>

بالرغم من خلو المصادر من الأخبار عن جزيرة الروضة أيام ولاتها من قبل الدولة العباسية فإن ذلك لا يعني عدم الاهتمام بها، فإن أهم الأعمال التي خلدت جزيرة الروضة بناء مقياس النيل الحالي سنة ٢٤٧هـ / ٨٦٢م في فترة خلافة الخليفة المتوكل على الله (٢٣٢ – ٢٤٧هـ / ٨٤٦ – ٨٦٢م) على يد واليه على مصر يزيد بن عبد الله التركي (٢٤٢ – ٢٥٣هـ / ٨٥٦ – ٨٦٧م)، وقد عرف هذا المقياس باسم المقياس الجديد تمييزًا له عن مقياس أسامة بن زيد التنوخي [٤٠].

وعندما استقل أحمد بن طولون بحكم مصر وأسس دولة مستقلة عن الخلافة العباسية استمرت ثمانية وثلاثين عامًا (٢٥٤ – ٢٩٢هـ / ٨٦٨ – ٩٠٥م) وتوترت العلاقات بينه والخلافة، وتحرك القائد العباسي موسى بن بغا سنة ٢٦٣هـ / ٨٧٧م في زمن الخليفة المعتمد على الله ليحل محل ابن طولون ويكون واليًا على مصر وجميع أعمال ابن طولون، لذا فقد أقام أحمد بن طولون حصنًا منيعًا بالجزيرة[٤١] على أنقاض وبقايا أبراج وأساسات الحصن

الروماني القديم[٤٢]، ليتخذه للدفاع ضد الجيش الذى يقوده ابن بغا وخصوصًا وأن العاصمة آنذاك (مصر والفسطاط والقطائع) كانت بدون قلاع أو أسوار تحميها، وكان ذلك الحصن في مأمن استراتيجي إذ يحيط به الماء من كل ناحية، وقد اجتهد ابن طولون في بنائه وأنفق عليه ثمانين ألف دينار ليكون معقلًا له ولحريمه وذخائره، كما اجتهد ابن طولون في بناء المراكب الحربية وأحاطها بالجزيرة حرصًا منه في الدفاع عن الفسطاط التي أدرك أنها عرضة للهجوم والاستيلاء عليها بسهولة من ناحية النيل فاتخذ ابن طولون مائة مركب حربية سوى ما أضيف إليها من المراكب الصغيرة الحجم وعمد إلى سد مداخل البحر المتوسط بهذه المراكب خشية الهجوم عليه بحرًا عن طريق فرعي دمياط ورشيد.

وفي تلك الأثناء كان موسى بن بغا متباطئًا ومتثاقلًا في حملته على مصر لعظم شأن ابن طولون وقوته، فلم يلبث ابن بغا أن مات سنة ٢٦٤هـ / ٨٧٨م فكفي الله ابن طولون شره.

وقد ظل حصن ابن طولون عامرًا أيامه وعملت فيه صناعة مصر التي تنشأ فيها المراكب الحربية واستمرت إلى أيام محمد طغج الاخشيد فنقلها منه [٤٣] وظل الحصن قائمًا حتى أخذه النيل شيئًا بعد شيء[٤٤] وهدمه إلى بنى مكانه الصالح نجم الدين ايوب قلعته.

ومثلما استقل ابن طولون بحكم مصر فعل نفس الشيء محمد بن طغج الاخشيد وأسس دولة استمرت أربع وثلاثين سنة (٣٢٣ – ٣٥٨هـ / ٩٣٥ – ٩٦٩م)، وفي سنة ٣٢٥هـ / ٩٣٦م أمر محمد بن طغج الإخشيد بنقل دار صناعة السفن من جزيرة الروضة إلى دار خديجة بنت الفتح بن خاقان زوجة أحمد بن طولون بساحل الفسطاط وأطلق عليها الصناعة الكبرى، وكان نقل الصناعة بسبب استراتيجي أمني فقد أراد الإخشيد أن لا يحول بينه وبين الصناعة نهر النيل وذلك لنجدتها إذا هاجمها مهاجم، وذلك لأن صناعة الجزيرة تعرضت لهجوم كبير من قبل الثوار الخارجين على الإخشيد واستيلائهم

علـى الجزيـرة وإحراقهـا سـنة ٣٢٣هـ / ٩٣٥م[٤٥]، وقـد أقـام الإخشـيد مكـان الصناعة بستانًا نزهًا سماه المختار وعمر به قصرًا مرتفعًا[٤٦].

وقد ذكر هذا البستان والقصر "المسعودي" بوصفه شاهد عيان في حديثه عن الاحتفال بليلـة الغطـاس فـي زمـن الإخشـيد فـي سـنة ٣٣٠هـ / ٩٤٢م[٤٧]، وصـار الإخشيد ببستانه هذا وقصره يفاخر بـه أهل العراق، وكان يتنزه بـه هو وأسرته من بعده، وظل هذا البستان متنزهًا ملوكيًّا حتـى أن الخليفـة الفـاطمي المعز لدين الله قد اتخذه متنزهًا له وكذلك فعل ابنه العزيز بالله.[٤٨]

الجزيرة في زمن الدولة الفاطمية (٣٥٨ – ٥٦٧هـ / ٩٦٩ – ١١٧١م):

فـي زمـن الخلافـة الفاطميـة تمتعت جزيـرة الروضـة بأهميـة كبـرى إذ إن الخليفة المعز لدين الله لما قدم إلى مصر سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٤م اتخذها متنزهًا لـه ولأولاده وخلفـاءه مـن بعـده وصـارت الجزيـرة مدينـة عـامرة بالنـاس لهـا وال وقاض حتـى ذكرها المؤرخون المعاصرون كمدينـة كبيرة تقترن بالقاهرة ومصر فكان يقال "القاهرة ومصر والجزيرة"[٤٩] كما كان للجزيرة سوق[٥٠] مما يدل على عمرانهـا الكبيـر فـي زمـن الفـاطميين تـابع شـكل(٤)، وقـال عنهـا الرحالـة "الإدريسـي" المتـوفي سـنة ٥٦٠هـ / ١١٦٥م "فـي هـذه الجزيـرة مسـاكن جليلـة ومباني متصلة على ضفة النيل وهذه الجزيرة تسمى دار المقياس"[٥١].

وعن العمران بالجزيرة نجد في فترة حكم الخليفة الحاكم بأمر الله (٣٨٦ – ٤١١هـ / ٩٩٦ – ١٠٢٠م) أن الأميـر غـبن [٥٢] قـد عمـر جامعًـا بالروضة(شكل٤) بـه خطبـة وهو أول المساجد الجامعة بالروضـة، وقد كثرت العمائر حوله حينئذ، وهذا الجامع هو الذي أشار إليه الرحالة الفارسي "ناصر خسرو" عند زيارته مصر في سنة ٤٣٧هـ / ١٠٤٥م فعند كلامه عن الجزيرة قال" والجزيرة غربي النيل وبها مسجد جمعة وحدائق وهي صخرة وسط النهر تقسمه قسمين". [٥٣]

وقد شـهدت الجزيـرة فـي سـنة ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م أحداثًا سياسـية خطيـرة تـأثرت مبانيهـا فيهـا مثلمـا حدث بالفسطاط والقاهرة فـي الشدة المستنصرية؛ إذ

حدثت فيها فتنة عظيمة بين طائفتي العبيد والترك المتصارعتين أيام الخليفة المستنصر بالله (٤٢٧ – ٤٨٧هـ / ١٠٣٥ – ١٠٩٤م) عقب الشدة العظمى واستولى العبيد في تلك الأيام على الجزيرة واستمرت الحرب بينهما مدة. (٥٤)

ثم هدأت الأحوال بعد ذلك وعاد العمران للجزيرة لذا ففي سنة ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م تم بناء جامع في النهاية الجنوبية للجزيرة بجوار المقياس من جهة الغرب سمي جامع المقياس على يد الوزير بدر الجمالي بعد ترميمه المقياس.

ومن المتنزهات الكبيرة التي اقيمت بجزيرة الروضة في الدولة الفاطمية البستان الذي أقامه الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالي بحري (شمال) الجزيرة وقد سماه الروضة(شكل٤)، وكان ذلك سنة ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م، ومنذ ذلك الوقت صارت الجزيرة كلها تعرف بالروضة(٥٥)، وكان الأفضل كثير التردد على الجزيرة ويمضى إليها كل يوم في مراكب النزهة المسماة العشاريات الموكبية إلى أن قتل سنة ٥١٥هـ / ١١٢١م(٥٦) وكانت جزيرة الروضة في ذلك الوقت أنزه بقع مصر ولم يكن فيها في الديار المصرية بقعة تشاكلها لما كان فيها من البساتين والمناظر(٥٧). وموقع بستان الروضة يحتله الآن مستشفى وكلية طب القصر العيني وكلية طب الأسنان.

كما أنشأ الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله (٤٩٥ – ٥٢٤هـ / ١١٠١ – ١١٢٩م)، مكانًا (متنزهًا) بجوار البستان المختار سماه الهودج(٥٨)، (شكل٤) لمحبوبته (زوجته) البدوية التي هام بها حبًا وذلك لأنها كما ذكر المؤرخون "صعب عليها مفارقة ما اعتادت، وأحبت أن تسرح طرفها في الفضاء ولا تقبض نفسها تحت حيطان المدينة فبنى لها البناء المشهور في جزيرة الفسطاط المعروف بالهودج على شاطئ النيل في شكل غريب". (٥٩)

وقد أراد الآمر ببناء الهودج هذا أن يقربها لبيئتها التي اعتادتها، وظل الآمر يتردد على الهودج للتنزه إلى أن قتل برأس الجسر الذي بين الفسطاط والروضة في ذي القعدة سنة ٥٢٤هـ / ١١٣٠م. (٦٠)

وكان للفاطميين منظرة أعدت للنزهة تسمى المشتهى ذكرها المقريزي [٦١] لكنه لم يحدد مكانها ولا تاريخها، ولكن "ابن دقماق" عين موضعها فذكر أنها في طرف الروضة تجاه الجامع الناصري ولكن لا يوجد في نص "ابن دقماق" من قام بإنشائها وفي أي سنة بنيت [٦٢]، ولكن بالرجوع إلى "ابن ميسر" في كتابه المنتقى من أخبار مصر نرى أن المشتهى تعود إلى ما قبل سنة ٤١٥هـ/١٠٢٤م ذكر في حوادث شهري صفر وجمادي الأولى سنة ٤١٥هـ، أن الخليفة الظاهر (٤١١-٤٢٧هـ/١٠٢٠-١٠٣٥م) ركب إلى المشتهى بجزيرة الروضة [٦٣].

ومنظرة المشتهى حل محلها في العصر المملوكي رباط [٦٤]. سمي رباط المشتهى أقام به أحد أعلام الصوفية في زمنه وهو الشيخ الكازروني. وقد دفن به وعرف قبره في العصر العثماني باسم زاوية الشيخ الكازروني، وحتى الأربعينات من هذا القرن كانت الزاوية موجودة على خريطة القاهرة للآثار الإسلامية بأول شارع جامع قايتباي إلا أنها أزيلت بعد ذلك.

وذكر ابن دقماق أيضًا زاوية تُعرف بزاوية المنتهى، ولكنه لم يذكر القائم على تعميرها وزمن بنائها [٦٥]. ويبدو أنها قد أقيمت في العصر المملوكي محل إحدى المناظر الفاطمية.

ومن أخبار الجزيرة أيضًا في العصر الفاطمي أنه في سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م نقل الوزير المأمون البطائحي إنشاء الشواني وغيرها من المراكب النيلية من صناعة الجزيرة إلى الصناعة التي بساحل مصر. [٦٦]

<u>جزيرة الروضة في زمن الدولة الأيوبية (٥٦٧-٦٤٨هـ/١١٧١-١٢٥٠م):</u>

ظلت الجزيرة متنزهًا كبيرًا في زمن الدولة الأيوبية [٦٧]، كما ظلت وقفًا على المدرسة التقوية بمصر حتى ولى الحكم الملك الصالح نجم الدين أيوب (٦٣٧-٦٤٧هـ/١٢٣٩-١٢٤٩م) فاستأجر الجزيرة من القاضي المعروف بابن السكري مدرس المدرسة التقوية ومباشر أوقافها وذلك لمدة ستين سنة [٦٨].

وأقام الملك الصالح بالجزء الجنوبي من الجزيرة بجوار المقياس قلعته التي عرفت باسم قلعة المقياس أو قلعة الروضة أو قلعة الجزيرة أو القلعة الصالحية، أو قلعة جزيرة الفسطاط[٦٩] وقد بناها لتكون قصرًا ومقرًا للحكم وحصنًا له ولمماليكه الذين أكثر من شرائهم حتى ضاقت بهم القاهرة وصاروا يشوشرون على الناس وينهبون الأسواق[٧٠] فكثرت شكوى الناس منهم فاضطر الملك الصالح لبناء القلعة لهم على بحر الروضة فسموا البحرية نسبة لذلك، وما لبثوا غير شهور قليلة من نهاية حكم الصالح إلا وقد أزالوا دولة الأيوبيين وكونوا دولتهم المملوكية، كما ذكر المؤرخون سببًا آخر لبناء القلعة وهو حب الصالح للعمارة وإنشائه لعمارات عظيمة كان يشرف عليها بنفسه لذا فقد بنى هذه القلعة لتخلد اسمه في التاريخ.[٧١]

وكانت القلعة تقع في الجزء الجنوبي من جزيرة الروضة[٧٢] وكان موقعها هذا موفقًا من الناحية الاستراتيجية لكونها تقع بجزيرة يحيط بها نهر النيل من جميع النواحي مما جعلها في وضع أفضل من الناحية الدفاعية، وقد شرع في حفر أساسات القلعة في ٥ شعبان سنة ٦٣٨هـ وابتدأ البناء يوم ١٦ من هذا الشهر[٧٣]، وفي العاشر من ذي القعدة بدأ الهدم في الدور والقصور والمساجد التي بموضعها، كما هدمت كنيسة اليعاقبة[٧٤] كانت بجوار المقياس وأدخلت أرضها في أرض القلعة، كما خرب الهودج والبستان المختار وذكر المؤرخون أنه كان بموضع القلعة أشجار ونخل وجميز فقطع منها نحو ألف نخلة مثمرة كان رطبها يهدى إلى ملوك مصر لحسن منظره وطيب طعمه وكذلك قطع أربعمائة جميزة، كما ذكروا أنه هدم ثلاثة وثلاثين مسجدًا عمرها خلفاء مصر وسراة المصريين[٧٥]، وإن كان يبدو على هذا العدد المبالغة إلا أنه يعبر عن مدى عمران الجزيرة آنذاك.

وقد بالغ الصالح في إتقان بناء القلعة وزخرفتها، وأنفق عليها أموالًا طائلة وكان الملك الصالح يشرف بنفسه عليها "فصارت تدهش من كثرة زخرفتها وتحير الناظرين إليها من حسن سقوفها المزينة وبديع رخامها، وكانت

مساحة القلعة خمسة وستين فدانًا وقد استغرق بنائها ثلاث سنوات أي تمت سنة ٦٤١هـ/١٢٤٣م ، وظلت عامرة أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب وأقام بها هو وأسرته ومماليكه الألف وقيل الثمانمائة، وقد اهتم بتحصينها، وأثناء ذلك جدد جامع المستنصر وقد غرس فيها من جميع الأشجار ونقل إليها الأعمدة من المعابد المصرية القديمة وشحنها بالأسلحة وآلات الحرب وكل ما يحتاج إليها من الغلال والمؤن[٧٦] في ذلك الوقت الذي شهد صراعًا كبيرًا مع الصليبيين، وقد جعل حول القلعة شواني (مراكب) حربية مشحونة بالسلاح ومُعدة لقتال الفرنج واقفة عند الصناعة التي اختطها بالجزيرة وجعل بها عمائر المراكب الحربية والنيلية.[٧٧]

ويذكر الرحالة الأديب الأندلسي "ابن سعيد" الروضة وخص منها قلعة وأعمال الصالح بها بالوصف والمدح فقال "هي امام الفسطاط فيما بينها وبين مناظر الجيزة، وبها مقياس النيل وكانت متنزهًا لأهل مصر فاختارها الصالح بن الكامل سرير السلطنة وبنى فيها قلعة مسورة بسور ساطع اللون محكم البناء عالي السمك لم ترعيني أحسن منه".

وقال أيضًا "وكنت أشق في بعض الليالي بالفسطاط على ساحلها فيزدهيني ضحك البدر في وجه النيل أمام سور هذه الجزيرة الدريّ اللون، ولم انفصل عن مصر حتى كمل سور هذه القلعة وفي داخله من الدور السلطانية ما ارتفعت إليه همة بانيها وهو من أعظم السلاطين همة في البناء، وأبصرت في هذه الجزيرة إيوانًا لجلوسه لم ترعيني مثاله ولا أقدر ما أنفق عليه وفيه من صفائح الذهب والرخام والأبنوس والكافوري ما يُذهل الأفكار ويستوقف الأبصار، ويفصل عما أحاط به السور أرض طويلة وفي بعضها حاظر حظر به على أصناف الوحوش التي يتفرج عليها السلطان وبعدها مروج ينقطع فيها مياه النيل فينظر بها أحسن منظر".[٧٨]

وفي هذه السطور رسم لنا ابن سعيد صورة جميلة لجزيرة الروضة والقلعة الصالحية فعلى الرغم من اتجاه الصالح لجعلها حصنًا منيعًا فإنه أضاف إليها

السمات الجمالية وجعلها متنزهًا حسنًا عظيمًا وألحق بها حديقة للحيوان ومروج خضراء تسر الناظرين.

هذا وقد كان لبناء القلعة في القسم الجنوبي من الروضة أثر كبير في اتساع عمران الروضة في جزئها الشمالي إذ تحول ساكنوا الجزء الجنوبي إليه، وكذلك عمر الشاطئ الشرقي للنيل في الجزء المواجه للقلعة عمارة كبيرة آنذاك حيث بنى الأمراء منازلهم ليكونوا على مقربة من قلعة السلطان فعظمت عمارة الفسطاط على النيل (مصر القديمة) وانتقل إليها كثير من الأمراء وضخمت أسواقها واستجدت أسواق أخرى لمجاورتها للجزيرة وقلعتها الصالحية ولخدمة الأجناد بها. (٧٩)

وقد بقيت من القلعة الصالحية بقايا القاعات والعمائر التي قام بها الملك الصالح نجم الدين أيوب سجلتها الحملة الفرنسية منها قاعة رئيسية أبعادها ١٤,٦٠×١٢,٧٠متر يتوسطها قبة كانت مقامة على أربعة أكتاف وحول القاعة أبنية مختلفة الأحجام أغلبها كان متخربًا. (٨٠)

وكذلك رأى الرحالة بوكوك الذي زار مصر في القرن الثامن عشر بقايا جدران من الطوب الأحمر ارتفاعها عشرة أقدام عبارة عن أبراج غير كاملة الاستدارة من بقايا القلعة. (٨١)

تاريخ الجزيرة وتطورها العمراني في العصر المملوكي:

حظيت جزيرة الروضة في عصر سلاطين المماليك بعناية فائقة، وظلت مدة حكمهم موضع نزههم هم ورعاياهم، ومكان احتفالاتهم وأعيادهم، وبجانب المنشآت المعمارية بالجزيرة فقد ضمت أيضًا الحقول المزروعة والبساتين ذات الأشجار المثمرة والأزهار ما يبهج النفس ويسر العين ويجعل أفئدة الناس تهوى إليها فكان ينطبق عليها المثل: "ثلاثة يذهبن الحزن، الخضرة والماء والوجه الحسن"، وقد اجتمعت هذه المزايا وغيرها في جزيرة الروضة. شكل (٥)

ومن الجدير بالذكر أن صناعة السفن ازدهرت بدار الصناعة بالجزيرة في العصر المملوكي ازدهارًا كبيرًا وشهدت الروضة متنزهات بحرية كبيرة.

أما عن العمارة بها في العصر المملوكي فكان لها شأن كبير حتى أن ابن دقماق المتوفي سنة ٨٠٩هـ/١٤٠٦م يذكر أنه كان يوجد بها نحو العشرين مسجدًا. (٨٢)

وعن أحوال الجزيرة في أول العصر المملوكي نجد أن السلطان عز الدين أيبك (٦٤٨-٦٥٥هـ/١٢٥٠-١٢٥٧م) قد أمر في سنة ٦٤٩هـ/١٢٥١م بإخلاء قلعة الروضة وتحول من كان فيها من المماليك والحراس، وهدم منها جانبًا وأخذ أعمدة رخامية منها وشبابيك حديد وأخشاب وغير ذلك وعمر به مدرسته التي برحبة الحناء في فسطاط مصر (٨٣)، وطمع في القلعة كل من له جاه فأخذ جماعة منها عدة سقوف وشبابيك كثيرة وغير ذلك وبيع من أخشابها ورخامها أشياء جليلة.

إلا أن الملك الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦هـ/١٢٦٠-١٢٧٧م) أمر بعمارة القلعة الصالحية وإصلاحها فتم إصلاح بعضها على يد الأمير جمال الدين موسى بن يغمور الذي وزع أبراجها على كبار الأمراء، وقد أمر الملك الظاهر بأن تكون بيوت جميع الأمراء واصطبلاتهم فيها وسلم المفاتيح لهم (٨٤).

وقد كان الظاهر كثير التنزه بالروضة وعمل الاستعراضات البحرية بها، وكان من نتيجة إصلاحاته بقلعة الروضة أن زاد الاهتمام بالجزيرة والسكنى بها والتنزه في ربوعها فعادت فرجًا ومتنزهات وقصورًا ودورًا وبساتين وجوامع وحمامات (٨٥) وقد ازداد العمران في شمال الجزيرة في ذلك الوقت فبنيت المساجد والدور وغيرها وبصفة خاصة حول جامع غبن الذي رمم وأعيدت إليه الخطبة سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦٠م(٨٦).

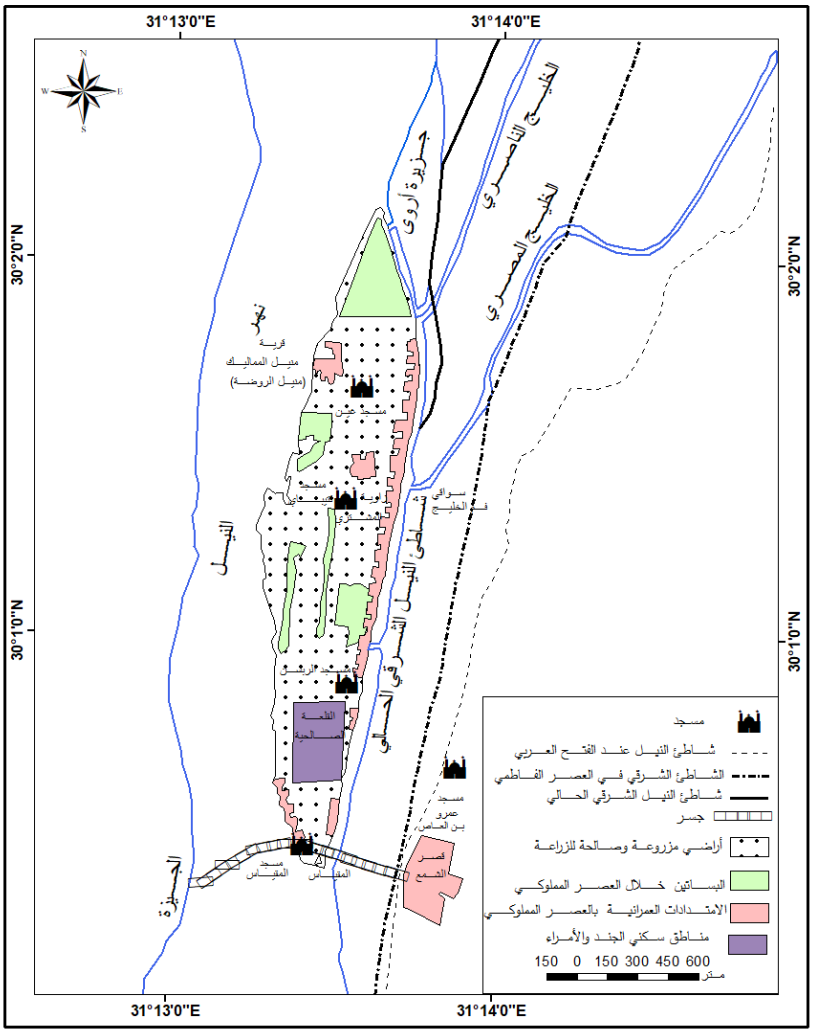

الملامح العمرانية الرئيسية لجزيرة الروضة خلال العصر المملوكي

شكل (٥)

ولكن ذلك التعمير للقلعة لم يستمر إذ أنه لما تولى السلطنة الملك المنصور قلاوون (٦٧٨-٦٨٩هـ/ ١٢٧٩- ١٢٩٠م) امتدت يده إلى القلعة وأخذ من عمدها ورخامها وأعتابها شيئًا كثيرًا استخدمه في بناء بيمارستانه وقبته ومدرسته بالقاهرة التي أنشأها سنة ٦٨٣هـ/١٢٨١م.

وفي أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون (٧٠٩-٧٤١هـ/ ١٣٠٩-١٣٤٠م) فعل ما فعله من قبل أبوه السلطان المنصور قلاوون، فأخذ من أنقاض القلعة ما بني به الإيوان المعروف بدار العدل بقلعة الجبل، والجامع الناصري الجديد بظاهر مدينة مصر على النيل، وأخذ منها ما بقي من أعمدة ورخام وغير ذلك. ومن يومئذ دثرت معالم قلعة الروضة وخربت وصارت كأنها لم تكن ولم يبق منها سوى عقد تسمية العامة القوس وكانت تتنزه به وكان فيما يلي جانبها الغربي أدركه المقريزي سنة ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م.

وهذا يدل على عظمة ما كانت عليه القلعة وعلى أهمية الجزيرة كمتنزه عام، وبقي كذلك من آثار القلعة بقايا أبراج كثيرة بنى عليه الناس الدور الجليلة المطلة على النيل. وهي باقية إلى أيام "ابن إياس" المتوفي عام ٩٣٠هـ/١٥٢٣م.

وبانـدثار القلعة الصالحية عادت الجزيرة مكانًا للتنزه والتفرج، وبها البساتين الكثيرة الحسنة والجوامع التي تقام فيها الجمع والأعياد والمساجد والأربطة [٨٧].

ومن الجوامع العظيمة التي بنيت في سلطنة الناصر محمد هو الجامع الذي بناه القاضي المعروف بالفخر الذي كان يشغل منصب ناظر الجيش في سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م وعرف حينئذ بجامع الفخر [٨٨]. ثم جدده الصاحب شمس الدين الشهير بالمقس ٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م [٨٩].

ومن الأعمال العظيمة للسلطان قايتباي (٨٧٢-٩٠١هـ/ ١٤٦٧-١٤٩٥م) الأمر بتجديد جامع الفخر في ربيع الآخر سنة ٨٨٦هـ/١٤٨١م الذي جدده من قبل المقسى، وكان الشاد على عمارته البدري حسن بن الطولوني، وقد ذكر "ابن إياس" أن قايتباي ظل يتردد إلى الروضة ويكشف عن بناء الجامع حتى انتهى منه في سنة ٨٨٨هـ/١٤٨٣م وقد جاء في غاية الحسن والتزخرف وعرف باسم السلطان قايتباي[٩٠]، ولكن "السيوطي" ذكر أنه أمر بأن يزاد في هذا الجامع زيادة أخرى في سنة ٨٩١هـ/ ١٤٨٦م وأنشأ حول هذا الجامع الغراس والعمائر الحسنة فعمرت تلك البقعة وأحيت الروضة بعد أن كادت أن تدرس محاسنها، ولعل هذه الزيادة هي القاعة التي صيرت مسجدًا وتقع في ظهر الجامع أي في الجانب الشمالي الغربي، وقد ذكرها "السخاوي" ضمن ترجمته لقايتباي فقال ".. وبالروضة جامعًا هائلًا كان من قديم مع صغره ساقطًا مائلًا فهدمه وعمل بجانبه ربعًا وأنشأ خلفه قاعة صيرها مسجدًا جليلة تزيينًا ووضعًا، وبنى هناك عدة دكاكين وطاحون وغيرها محكم التمكين..." [٩١]. وقد تمت أعمال الزيادات والعمارات الأخرى بجوار الجامع في رجب ٨٩٦هـ/١٤٩١م[٩٢].

ولا يزال جامع قايتباي عامرًا للآن بذكر الله تعالى، وهو مسجل أثر رقم ٥١٩ بشارع جامع قايتباي بالروضة. وقد كان للجامع أوقاف كثيرة وملاحق اغتصبت في النصف الأخير من هذا القرن، وقد عرف الحي حول جامع قايتباي في العصرين المملوكي والعثماني باسم كفر قايتباي أو عزبة قايتباي وقد عرف جامع قايتباي في وقت ما باسم جامع السيوطي لأن الإمام جلال الدين السيوطي أقام به أو سكن قريبًا منه [٩٣].

أما السلطان الأشرف قانصوه الغوري (٩٠٦-٩٢٢هـ/١٥٠٠-١٥١٦م) فقد كان أكثر السلاطين تنزهًا بالجزيرة على الإطلاق، وحظى المقياس منه برعاية فائقة، وأقام من الاحتفالات ما يفوق الوصف، ففي سنة ٩١٧هـ/ ١٥١١م أمر ببناء عدة منشآت معمارية بالروضة وجدد جامع المقياس، كما

أنشأ قصرًا على بسطة المقياس ومقعدًا مطلًا على النيل واهتم بإنشاء الحدائق والمتنزهات، وقد بنى الغوري هذا القصر ليكون بمثابة استراحة جمهورية أو ملكية بتعبير اليوم، فقد ورد بكتاب وقف الغوري أنه قد "بناه متنزهًا لنفسه ولمن يلي ملك مصر من بعده من ملوك الإسلام. وقد أوقف الغوري على المقياس والجامع والقصر وعلى أرباب الوظائف بهم أوقافًا عديدة منها أراضي بجزيرة الروضة نفسها كانت تعرف بالميدان والبرك بالقرب من زاوية البسطامي (جامع الريس) مساحتها عشرين فدانًا، وكذلك حصته من أراضي جزيرتي الصابوني والذهب، وأرض جزيرة بكاملها هي جزيرة النشوة التي كانت مستجدة حينئذ بين جزيرتي الصابوني ودير الطين (دار السلام حاليًا)، وكذلك أوقف عدة عقارات بمصر القديمة وساحلها وغير ذلك[٩٤].

وكان يوجد بالروضة قرية كانت تعرف في العصر المملوكي باسم منيل المماليك كانت مساحتها ٢٧٠ فدانًا وكان يملكها الديوان السلطاني وهي التي عرفت في العصر العثماني باسم منيل الروضة وكانت تقع شمال جزيرة الروضة [٩٥].

أشكال العمران في جزيرة الروضة في العصر الوسيط.

لقد مرت حركة التعمير في جزيرة الروضة بعدة مراحل خلال العصور التاريخية تعددت فيها أشكال العمران، والتي اعتمد تحديدها في المقام الأول على خصائص الموضع ومميزات الموقع واستراتيجيته، الأمر الذي كان له أكبر الأثر في تحديد جملة الاستخدامات بها.

فقد جاء العمران في جزيرة الروضة سابقًا للفتح العربي حتى ورد أن الجزيرة كان مهتمًا بها في الأزمان المتقدمة على زمن فتوح المسلمين، وكانت عامرة بالناس والمزارع [٩٦] حيث كانت سابقة في ظهورها على الجزر الأخرى بمنطقة القاهرة كجزيرة أروى وجزيرة الزمالك. ومع قيام مدينة الفسطاط بوصفها عاصمة لمصر الإسلامية اكتسبت جزيرة الروضة أهمية واضحة ليس فقط باعتبارها من ضواحي الفسطاط، ولكن لكونها المعبر الواصل بين شاطئي

النيل، ومن ثم ارتباط العاصمة بالصعيد والإسكندرية وذلك من خلال الجسرين الواقعين جنوبها [٩٧]، كما كانت تمثل همزة الوصل بين حصن الجيزة والفسطاط فتصل بين الحاميات العربية القائمة على الشاطئين [٩٨]. وقد ظلت الجزيرة أشبه بنصف جسر طبيعي يربط بين الجيزة والفسطاط يكمله عادة نصف آخر معلق من السفن الثابتة [٩٩] مما أكسبها أهمية حربية وسياسية واقتصادية متميزة على مر العصور التاريخية.

(١) العمران الحربي:

وهو يمثل أحد أنواع العمران السابق وجوده على الفتح العربي، بناء على ما يتميز به موقع الجزيرة من منعة وقوة، ودورها التاريخي في تأمين مراكز الحكم قبل الفتح وبعده؛ فقد كانت الجزيرة في عصر الروم جبهة التأمين الغربية لحصن بابليون مقر الحكم في عصرهم من خلال الجسرين القديمين اللذين أقيما بين الحصن والروضة والجيزة [١٠٠]، إذ كانت تقع حينئذ تجاه قصر بابليون. ويعد عمران الحصون والقلاع أحد أبرز صور العمران الحربي:

أ- حصن أحمد بن طولون:

بنى أحمد بن طولون حصنًا له في الجزيرة على أنقاض حصن الروم الذي هدمه عمرو بن العاص، وجعله معقلًا له، وأقامه في الطرف الشرقي للجزيرة فيما بين الجسرين حينما أراد تحصين دولته عام ٢٦٣ هـ [١٠١]. وقد اختار هذا الموقع الآمن لأن الماء يحيط به من كل ناحية [١٠٢]. خصوصا وأن العاصمة المصرية آنذاك (مصر والفسطاط والقطائع) كانت بدون قلاع أو أسوار تحميها [١٠٣]. والمعروف أن هذا الحصن ظل قائمًا بالجزيرة حتى أخذه النيل شيئًا بعد شيء وهدمه [١٠٤].

ب- القلعة الصالحية:

تمثل القلعة صورة أخرى من صور العمران الحربي في الجزيرة، فقد أقامها الملك الصالح نجم الدين أيوب على أنقاض حصن أحمد بن طولون

(١٠٥). ولبنائها فقد أوقع الهدم في الدور والقصور والمساجد التي كانت لليعاقبة بجوار المقياس، وخرب بستاني الهودج والمختار وهدم نحو ثلاثة وثلاثين مسجدًا (١٠٦)، مما يدل على أنها كانت عامرة في ذلك الوقت بالناس. ولزيادة تأمينها أمر بحفر سيالة الروضة وإغراق السفن المحملة بالحجارة في البر الغربي حتى عاد ماء النيل إلى بر مصر (١٠٧). وموقع القلعة الآن هو ما يناظر المنطقة التي يحدها شمالًا شارع الملك المظفر ومن الغرب نهر النيل والجيزة ومن الجنوب المقياس ومن الشرق سيالة الروضة. وهي بذلك كانت تقع جنوب الجزيرة.

أثر بناء القلعة الصالحية على الامتدادات العمرانية في جزيرة الروضة والفسطاط:

كان لإنشاء القلعة الصالحية في جزيرة الروضة أثر بالغ في اتساع الرقعة المبنية من الجزيرة خلال القرن السابع الهجري، خاصة في المناطق الشمالية منها التي صارت تمثل مناطق النمو المستحدث، فقد تحول سكان الجزيرة للسكن في الأجزاء الشمالية منها بعد أن أمر الملك الصالح بهدم الدور والقصور لبناء القلعة، كما ساهمت بصورة فعالة في تعمير الشاطئ الشرقي للنيل من ساحل الفسطاط في الجزء العلوي للقلعة، حيث بنى الأمراء منازلهم ليكونوا على مقربة من قلعة السلطنة، فعظمت عمارة الفسطاط وتضخمت أسواقها واستحدثت أسواق جديدة لمجاورتها الجزيرة وقلعتها الصالحية لخدمة الأجناد بها. ومما يجدر ذكره في شأن القلعة الصالحية هو أن الفسطاط مدينة مصر قد استردت بهاءها بفضل قيام القلعة في جزيرة الروضة (١٠٨). وبالرغم من هدمها في بداية العصر المملوكي فإن الظاهر ركن الدين بيبرس ٦٥٨هـ/ ٦٧٦هـ أمر بإعادة تعميرها وتجديدها وإصلاحها ووزعها على الأمراء البحرية لتكون مسكنًا لهم (١٠٩). وبذلك تكون القلعة قد ساهمت في فتح جبهة جديدة للعمران في الأجزاء الشمالية من الجزيرة بعد أن كان العمران يتركز فقط في الأجزاء الجنوبية منها، حيث كانت الأجزاء الشمالية من الجزيرة أضيق مساحيًّا

وأحدث من حيث النشأة، فهي تمثل الأطراف النامية والمنخفضة في الوقت نفسه. وقد تركز العمران في القسم الجنوبي في حين استغل القسم الشمالي في الزراعة والبساتين. وقد كان وجود الجسور التي تربط جزيرة الروضة بالفسطاط والجيزة سببًا في تركز العمران في الجنوب الذي كان يمثل امتدادًا للعمران في الفسطاط والجيزة، وقد نشطه إقامة القلعة الصالحية في هذا القطاع من الجزيرة(١١٠).

ج – دار صناعة السفن:

تفردت جزيرة الروضة بعمارة صناعة السفن لفترة طويلة بدأت مع الفتح العربي، حيث أنشئت بها أول دار لصناعة السفن عام ٥٤هـ لإنشاء كافة السفن البحرية المستخدمة في الأغراض الحربية والتجارية (١١١). ولعل اختيار الجزيرة بوصفها موضعًا لإقامة هذا النوع من العمران إبان الفتح العربي قد جاء لتفرد موقعها وموضعها بخصائص متميزة من أهمها:

- كونها بقعة من الأرض منفصلة عما حولها تتميز بالحماية والاستحكام.
- أنها الجزيرة النهرية الوحيدة التي كانت تقع في وسط النهر أمام العاصمة (الفسطاط)، فهي لم تكن على هذا القرب الشديد من الضفة الشرقية للنهر. وإن كان الطرف الجنوبي لها قد مثل أقرب مواضعها للفسطاط (١١٢).

وبفضل قيام هذه الصناعة في الجزيرة جاء حرص حكام مصر وسلاطينها على ضرورة الإبقاء على الفرقة المائية الضيقة التي تفصل بين الجزيرة وشاطئ النيل الشرقي المعروفة الآن (بسيالة الروضة)، نظرًا لما تستلزمه هذه الصناعة من مياه دائمة لإقامتها، واختبار السفن قبل الشروع في نقلها إلى الثغور والرباطات. وعلى الرغم من نقل دار الصناعة هذه في زمن محمد بن طغج الإخشيدي إلى ساحل الفسطاط إلا أنه لم يقض على صناعة الجزيرة بل ظلت مراكب الأسطول تصنع بها (١١٣).

٢- العمران الترفيهي:

كانت لجزيرة الروضة مكانة مهمة كمكان للترويح والتنزه حيث أثر ذلك على النمو العمراني لما أقيم بها من مرافق عمرانية [١١٤]، وقد ظهر ذلك على مر الفترات التاريخية حتى قبل الفتح العربي إذ كانت قبل ظهور الإسلام متنزها للملوك القبط [١١٥]. وقد اكتسبت الجزيرة هذا النمط من العمران بفضل مواردها الموضعية كجزيرة نهرية تتميز بخصوبة أراضيها وتجدد هذه الخصوبة سنويًا مما جذب الكثير من السلاطين والحكام للحياة فيها، واتخاذها متنفسًا للترويح لتعدد بساتينها وثمارها وحدائقها الغناء، خصوصًا مع قربها المكاني من العاصمة حتى صارت ضاحية سلطانية [١١٦]، ومتنزها ملكيا لحقبة طويلة من الزمن نظرًا لما تتمتع به من خصوصية لكونها جزيرة. ويعد العصر الفاطمي أحد أكثر العصور التي شهدت نموًا واضحًا لهذا النمط من العمران، فقد انتشرت الاستخدامات الترفيهية بالجزيرة كالمتنزهات العامة والخاصة مثل البساتين والمناظر، والتي انتشرت أيضًا في العصر الإخشيدي واستمرت حتى عصر سلاطين المماليك تابع شكلي (٥،٤).

أما أهم العوامل التي ساعدت على انتشار هذا النمط من العمران في الجزيرة واتخاذها متنزهًا وضاحية سلطانية فهي:

عوامل تتعلق بالموقع:

حيث كانت الجزيرة تقع بوسط النهر إضافة إلى بقائها منفصلة عن جسم المدينة بفضل الفرقة المائية الضيقة (السيالة) وقربها من العاصمة، ثم ما يتعلق بمزايا موضعها باعتبارها بقعة متصلة من الأراضي الخصبة، فضلًا عن اتصافها بالحماية والاستقلالية حتى صارت تتمتع بكافة سبل الترويح والترفيه.

ولعل أبرز ما ذكر عن مزايا الجزيرة وإمكاناتها كأشهر مواضع التنزه في مصر خلال العصر الوسيط هو ما ذكره ابن دقماق من " أن هذه الجزيرة التي بين مصر والجيزة (أي الروضة) أعدل موضع في الدنيا مزاجًا وأصح هواء وأطيب مكانًا"[١١٧]، في حين ذكر ابن إياس "إن الجزيرة أنزه بقع مصر، ولم

يكن في الديار المصرية بقعة تشاكلها"[١١٨]. أيضًا كان استمرار بقاء الجزيرة رزقا أوقافا لأولاد الملوك والأمراء [١١٩]. الذين عملوا على تقسيمها وإقامة القصور والبساتين فيها وزيادة الاهتمام بها شجع كبار الأعيان والتجار والموظفين على بناء دور وقصور لهم بالجزيرة التي كانوا يقصدونها للتنزه خاصة في مواسم انحسار مياه النهر.

أما عن أشكال وصور العمران الترفيهي في الجزيرة فهي:

أ- البساتين:

ويمثل هذا النوع من العمران الترفيهي واحدًا من أكثر أنواع العمران انتشارًا في الجزيرة؛ نظرًا لخصوبة أراضيها وتعدد أشجارها وغروسها النادرة في معظمها. ويعد بستان المختار الذي أقامه محمد بن طغج الإخشيدي محل دار الصناعة في الجزيرة من أشهر هذه البساتين وقد اتخذ متنزهًا له، وظل حتى زمن الخلافة الفاطمية إلى أن تعرض للتخريب عندما شرع في بناء القلعة الصالحية، أيضًا كان هناك بستان الهودج الذي أقامه الآمر بأحكام الله الفاطمي وكان يقع على شاطئ النيل. وبستان الهودج مكانه الآن المنطقة التي تقع بالقرب من كوبري الملك الصالح وشارع الملك المظفر إلى الجنوب قليلًا.

ثم أنشأ الأفضل أمير الجيوش بدر الجمالي في العصر الفاطمي بستانًا في بحري الجزيرة (شمالها) مكانًا نزهًا سماه الروضة [١٢٠]، وهو من أكبر المتنزهات الفاطمية- تابع شكل (٤) -، وأقيم على مساحة ٥٢ فدانًا، وموقعه الآن يحتله مستشفى المنيل الجامعي وكليتا الطب البشري وطب الفم والأسنان التابعتين لجامعة القاهرة.

ب- المناظر:

وهي من متنزهات الفاطميين وأشهرها التي انتشرت بالقاهرة ومصر والروضة وظواهر القاهرة التي يقصدونها للتنزه والتريض وحضور الحفلات في المواسم والأعياد، وهي بناء عال أو قصر صغير كامل المرافق. ومن أشهرها

منظرة الهودج- تابع شكل (٥) -، ومنظرة المشتهى التي ذكرها كل من المقريزي وابن دقماق دون تحديد لتاريخ إنشائها حيث قال "زاوية المشتهى عمرها ... في سنة ... وهي في طرف الروضة"[١٢١]. كما اتخذت كنيسة اليعاقبة متنزهًا كبيرًا في العصر الفاطمي حتى هدمها الملك الصالح نجم الدين وأدخلها ضمن قلعته، وكانت تقع جنوب الجزيرة أمام باب مسجد المقياس. ومعروف أن بعض مسميات هذه البساتين والمناظر قد أطلقت على شوارع موجودة الآن بالجزيرة؛ مثل شارع المختار، وشارع دار الصناعة، وشارع المشتهى، وشارع الروضة تخليدًا لها.

٣- عمران المرافق والخدمات:

لقد أدى التطور العمراني المتزايد في الجزيرة إلى نشأة العديد من المرافق والخدمات المتصلة بهذا العمران، وتشير الكتابات التي تؤرخ لفترة العصر العربي (الوسيط) إلى تزايد أعداد هذه المنشآت، والتي بدأ تزايدها حتى قبل العصر الأيوبي حيث ذكر المقريزي أن الملك الصالح قد أوقع الهدم في ثلاثة وثلاثين مسجدًا كان قد عمرها خلفاء مصر من قبله لبناء قلعته الصالحية [١٢٢]. ويعد العصر الفاطمي وعصر سلاطين المماليك هما أكثر العصور التي شهدت قيام مثل هذا النوع من المرافق والمنشآت- تابع شكل (٥،٤) - والتي شهدت تعددًا واضحًا في أشكالها ما بين جوامع ومساجد وزوايا ومن أشهرها:

أ – الجوامع:

وهي ما تقدم فيها الخطبة وصلاة الجمعة مثل:

جامع غبن: أنشأه القائد غبن في عام ٤٠٤ هـ وهو أول المساجد الجامعة بالروضة، حيث ظلت تقام به الخطبة حتى أقيم جامع المقياس، وقد عرف فيما بعد بجامع الأباريقي نسبة إلى الشيخ أحمد الأباريقي المدفون به [١٢٣]، وكان يقع فيما يعرف الآن بشارع محمد ذو الفقار بمنيل الروضة، وقد عادت إليه الخطبة في زمن الظاهر بيبرس بعد أن كثر السكان والعمران حوله، وانتشرت الدور والمباني عام ٦٦٠هـ [١٢٤].

جامع المقياس: كان يقع في الزاوية الجنوبية الغربية لجزيرة الروضة أمام الجيزة، حيث ظلت بقاياه موجودة حتى عام ١٢٩٧هـ إلى أن أزالها حسن باشا المانسترلي وأنشأ مكانه الكشك الصيفي الخاص به المسمى حاليًا قصر المانسترلي (١٢٥). وقد عمر هذا الجامع الأفضل بن أمير الجيوش عام ٤٨٥هـ، ثم جدده الملك الصالح نجم الدين أيوب إذ كان يقع ضمن قلعته الصالحية، وقد ظل هذا الجامع قائمًا حتى عام ٨٢٣هـ، والمعروف أن الفرنسيين قد خربوه عند دخولهم مصر.

جامع الفخر: أشهر المساجد الجامعة التي أنشئت بالجزيرة خلال العصر المملوكي، ويقع بآخر الروضة عند المنيل تجاه منشية المهراني، وقد بناه القاضي فخر الدين ناظر الجيوش عام ٧٣٠هـ، ثم جدده فيما بعد الصاحب شمس الدين المقسي وزاد في مساحته فصار يُسمى جامع المقس (١٢٦).

جامع قايتباي: عندما خرب جامع الفخر للمرة الثالثة وعطلت فيه الشعائر أعاد عمارته الملك الأشرف قايتباي، فزاد فيه ووسعه وغرس حوله الأشجار وأنشأ الحدائق والعمائر حوله عام ٨٩١هـ، وبذلك أحييت الروضة بعد أن كادت تدرس معالمها، بل وأقام حوله دكاكين وغيرها، وهو يقع شمال شرق الجزيرة على مقربة من قصر الأمير محمد علي توفيق بالمنيل، وهو يقع الآن بشارع قايتباي بمنطقة السوق الشعبي بشياخة المنيل الشرقي، وواجهته الأساسية هي الواجهة الجنوبية الشرقية المطلة على شارع قايتباي، بينما اندثرت أجزاء كثيرة منه نتيجة لتزايد العمران في هذا الجزء، وقد احترق هذا الجامع في زمن الحملة الفرنسية(١٢٧).

ب- المساجد:

وقد أحصى عددها ابن دقماق فذكر أنها نحو العشرين مسجدًا في عصر سلاطين المماليك (١٢٨)، بينما ذكرت مراجع أخرى نحو ثلاثة وثلاثين مسجدًا في زمن الدولة الأيوبية (١٢٩).

ج- الزوايا: مثال زاوية المشتهى وزاوية البسطامي. - تابع شكل (٤،٥).

٤- العمران السكني:

لقد ورد في العديد من الكتابات التاريخية أن الجزيرة كانت عامرة بالسكان حتى قبل الفتح العربي، كما ورد العديد من الأدلة التاريخية التي تدل على كثرة مساكنها ودورها والتي أوردها الرحالة الجغرافيون العرب في كتاباتهم دون وصف تفصيلي لأشكال هذه المباني وارتفاعاتها في كثير من الأحيان.

ومما يدل على أن الجزيرة كانت عامرة بالدور والقصور المشرفة على النيل في عهد عبد العزيز بن مروان في العصر الأموي (٦٥/٨٦هـ) "أن كان بها خمسمائة فاعل تكون مقيمة أبدًا معدة لحريق يكون في البلاد أو هدم" على حد قول المقريزي، كما أنه من كثرة ساكنيها تم تعيين وال وقاض خاص بها لتعدد شئون الحكم بها (١٣٠). كما تبع هذا النمو السكني الواضح في العصر الأموي إقامة العديد من الحوانيت والتي كانت تتركز بصفة أساسية في الجزء الجنوبي منها (١٣١). مما يدل على تزايد العمران في العصر الأموي. وقد بلغت كثرة العمران السكني في الجزيرة وبخاصة خلال العصر الفاطمي حد أن صارت الجزيرة تذكر باعتبارها مدينة كبيرة فيقال القاهرة ومصر والجزيرة، ولها أيضا وال وقاض (١٣٢). ومما يدل أيضًا على انتشار العمران السكني في العصر الفاطمي هو ما قاله الرحالة العربي الإدريسي (١٣٣) المتوفي عام ٥٦٤هـ "أن في هذه الجزيرة مساكن جليلة وكثيرة ومبان متصلة على ضفة النيل"، حيث كثرت العمائر والدور حول جامعي غبن والمقياس مما اضطر إلى إعادة الخطبة وصلاة الجمعة إلى جامع غبن مرة أخرى بعد انقطاعها، حيث كان السكان يجدون مشقة كبيرة في الوصول من شمالها إلى جامع المقياس جنوبًا خاصة بعد أن علم سلطان مصر الظاهر بيبرس بما وصلت إليه الجزيرة من عمران بعد كثرة ساكنيها (١٣٤). وعندما خربت القلعة الصالحية أقيمت على بقايا أبراجها الدور الجليلة في بداية العصر المملوكي (١٣٥).

وقد ظلت الجزيرة رزقًا أوقاف للملوك والأمراء ينشئون بها السواقي ويعرضونها للبيع، ويفرضون الغرامات على أصحاب الدور الكثيرة بها حتى عام ٧٤٠هـ (١٣٦)، كما عمرت الجزيرة بالأسواق والحوانيت.

أما مقياس النيل وأمر إقامته والاهتمام به بوصفه نمطًا متميزًا في استخدام الأرض فقد حدثنا ابن دقماق عنه فقال: "هي دار في رأس هذه الجزيرة من جهتها القبلية (الجنوبية)، وصفته برج عظيم ودائرة بسطتان مبنيتان تردان عنه جريان المياه، وفي جانب الدار فسقية عظيمة عميقة ينزل إليها بدرج دائرة إلى أسفلها وفي وسطها عمود المقياس قائم، وهو قطع رخام مفصل كل قطعة ذراع، وفيها رسوم أعداد أصابع وعدد القطع تسع عشرة قطعة وطولها ذراع[١٣٧]. ويذكر علي باشا مبارك [١٣٨]. أن هذا المقياس بالروضة قد عمر عدة مرات حتى استقر على وضعه الحالي، وأن أول من عمره هو أسامة بن يزيد عام ٩٦هـ في عهد سليمان بن عبد الملك الخليفة الأموي وأن هذا هو الأصح، ثم جدده الخليفة المأمون سنة ١٩٦هـ حتى تمت عمارته مرة أخرى في زمن الخليفة المتوكل على الله جعفر العباسي وعرف بالمقياس الجديد عام ٢٤٧هـ. وكان وفاء النيل يبلغ ستة عشر ذراعًا.

صور أخرى لاستخدامات الأراضي في الجزيرة (الاستخدام الزراعي):

لم يقتصر استخدام الأراضي في جزيرة الروضة على صور العمران السابقة، بل شمل أيضًا الاستخدام الزراعي، فنظرًا لما تتميز به أراضيها من خصوبة جيدة ومتجددة فقد أصبح استخدامها في الأغراض الزراعية أمرًا سهلًا وميسورًا، حيث قسمت أراضيها وأصبحت ملكيتها تابعة للأمراء لاستغلالها في الزراعة [١٣٩]، فكانت تزرع بها أنواع عديدة من الزهور والفواكه والخضروات والحبوب بالإضافة إلى قصب السكر والخشخاش [١٤٠]، وكانت بذلك تخدم الفسطاط (المدينة والميناء) بهذه المزروعات. ولعل وجود ناحية منيل الروضة (قرية المنيل) باعتبارها قرية زراعية تقع شمال الجزيرة نشأت نواتها في العصر العثماني خير دليل على وجود هذا الاستخدام. وقد تركزت معظم الزراعات في الأجزاء المستحدثة الشمالية منها.

الخاتمة

تناول هذا البحث دراسة الملامح الجغرافية الطبيعية والبشرية لجزيرة الروضة، من خلال ما تم الحصول عليه من بيانات ومعلومات توفرت للباحثة

من خلال المصادر المختلفة، إضافة إلى الزيارات الميدانية للجزيرة حتى أمكن رسم الملامح الرئيسية لشخصية الجزيرة على النحو التالي: –

أولًا: فيما يتعلق بموقع الجزيرة وموضعها تبين أن الجزيرة اكتسبت أهميتها من خلال تفردها في خصائص الموقع والموضع كما اكتسب موقعها أهميته من خلال كونه أحد مواقع المعابر المهمة وكونها جزيرة نهرية، بل هي أقدم الجزر النهرية التي ظهرت في منطقة القاهرة قبل الفتح العربي.

أما بالنسبة لموقعها العمراني فقد اتضح أنها لا تبعد عن عمران وسط العاصمة، فهي تقع في أقصى القطاع الغربي منه ولا يفصلها عنه سوى شقة مائية ضيقة (السيالة) أما بالنسبة لخصائص الموضع فقد أثرت ظروف الموضع بوضوح على شكل الكتلة العمرانية للجزيرة، من حيث امتداها الطولي، كما حددت نقاط المناسيب انحدارات البدايات الأولى للنمو واتجاهاته إذ نشأت النوايات الأولى للعمران في قلب الجزيرة في المناطق البعيدة عن أخطار الفيضان، حيث المناسيب المرتفعة.

ثانيا:– من حيث التطور العمراني للجزيرة اتضح من الدراسة وتتبع التطور العمراني للجزيرة أنها ظلت خلال الفترات التاريخية منذ الفتح العربي وحتى العصر الحديث محور اهتمام الحكام والسلاطين في مصر بفضل تفرد موقعها وموضعها، وقد اتسمت بأهميتها الجغرافية التاريخية والاقتصادية والحربية؛ حيث ظلت الحصن الرئيسي ومركز الحكم والإدارة للعاصمة المصرية خلال عصري الدولة الطولونية والأيوبية، كما عمرت بالقصور والبساتين حتى صارت ضاحية سلطانية من الضواحي المهمة ومتنزها ملكيًّا مهمًا ومقصدًا للعامة والخاصة بهدف التنزه والترفيه خاصة للدولة الإخشيدية والفاطمية، وكذلك اختصاصها باستخدامات الصناعة مثل صناعة السفن واعتبارها حصنًا منيعًا وملائمًا لقيام القلاع والحصون مثل حصن أحمد بن طولون، والقلعة الصالحية ومعبرًا لحصن الجيزة.

كذلك لعبت الجزيرة وسيالة الروضة دورا مهما في تدعيم النشاط الاقتصادي لعاصمة مصر الإسلامية (الفسطاط) إذ كانت تمثل الميناء الرئيس

في مصر الفسطاط وساعدت على ازدهار أسواقها بفضل خصوبة تربتها فقد انتشر بها الاستخدام الزراعي، وقسمت أراضيها وصارت تمد العاصمة (الفسطاط) بكافة متطلباتها واحتياجاتها من الخضر والفاكهة، وكذلك مصانع السكر بها خلال الفترات التاريخية المختلفة منذ فترة ما قبل الفتح العربي، كما عمرت الجزيرة بالعديد من أشكال استخدام الأرض الحضرية والريفية، ويرجع الفضل في ذلك لموقعها الجغرافي وخصائصها وخصائص موضعها وتلك الاستخدامات تفردت بها الجزيرة عن غيرها من الجزر النهرية التي استحدثت بعدها في منطقة القاهرة، وظلت الجزيرة خلال هذه الفترات عامرة بالسكان والاستخدامات المختلفة من حصون وقلاع ودور وبساتين وقصور، ودور الصناعة كما انتشرت بها مظاهر عمران المرافق والخدمات فظهرت المساجد والجوامع والزوايا وغيرها، وهو ما أكدته الكتابات التاريخية التي أرخت لتلك الفترات كما شهدت الجزيرة اتساعًا واضحًا في كتلتها المبنية ولم تتقلص اهميتها حتى خلال العصر العثماني الذى شهد اضمحلالًا واضحًا في كل مظاهر الحياة والذي سرعان ما تلاشي في زمن الحملة الفرنسية.

كما أبرزت الدراسة الدور الذي لعبته الجسور والمعابر التي ربطت الجزيرة بضفتي النهر في تعمير الجزيرة وبخاصة في القسم الجنوبي منها والذى مثل امتدادًا لعمران الفسطاط والجيزة، وكذلك في تدعيم علاقتها المكانية مع كل المعمور المصري خلال الفترات التاريخية المصرية المختلفة مما كان له اكبر الأثر في استمرار تعاظم أهميتها ودورها باعتبارها أحد المعابر المهمة التي تصل العاصمة بالضفة الغربية بدءًا من الفسطاط وانتهاءً بالقاهرة ووصلها بالشاطئ الغربي وكذلك ربط العاصمة بصعيد مصر وشمالها.

الهوامش:

١) الديوان السلطاني: أي ما كان مخصصًا من إيرادات الدولة من خراج الأراضي الزراعية وغيرها من الوحدات الإنتاجية للسلطان بحكم منصبة.

(٢) محمد عبد العزيز السيد، جزيرة الروضة وآثارها الدارسة حتى نهاية العصر المملوكي، رسالة ماجستير مقدمة لكلية الآثار، جامعة القاهرة، غير منشورة، ١٩٧٧، ص٤.

(٣) ابن دقماق، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، الجزء الرابع، دار الأفاق الجديدة، بيروت، بدون تاريخ، ص١٠٩.

(٤) المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط٢، ج٢، المكتبة الثقافية التاريخية، القاهرة، ١٩٨٧، ص٦٠٩.

(٥) عبد العال عبد المنعم الشامي، مدن مصر وقراها في القرن الثامن الهجري، المجلة العلمية لكلية الآداب، جامعة المنيا، المجلد التاسع، العدد (١)، ١٩٩٩، ص١٠٤.

(٦) المقريزي، مرجع سبق ذكره، ج٢، ص ١٧٧، ١٧٨.

(٧) عبد العال عبد المنعم الشامي، مرجع سبق ذكره، ١٩٩٩، ص ص ٥٥، ٦٥.

(٨) فؤاد فرج، تاريخ المدن القديمة ودليل المدينة الحديثة، الجزء الأول، مطبعة المعارف، القاهرة، ١٩٤٣، ص ١٦٣.

(٩) ابن دقماق، مرجع سبق ذكره، ص ١٠٩.

(١٠) المقريزي، مرجع سبق ذكره، ج٢، ص ١٧٨.

(١١) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، صفة المغرب، وأرض السودان ومصر والأندلس، طبعة ليدن، ١٨٦٨، ص ١٤٢.

(١٢) المقريزي، مرجع سبق ذكره، ج٢، ص ١٧٨.

(١٣) عبد العال عبد المنعم الشامي، مصر عند الجغرافيين العرب فيما بين القرنين الثالث والثامن الهجري، ماجستير مقدمة لقسم الجغرافيا، كلية الآداب، جامعة القاهرة، غير منشورة، ١٩٧٣، ص ٤٦٦.

(١٤) المقريزي، مرجع سبق ذكره، ج٢، ص ١٧٨.

(١٥) محمد عبد العزيز السيد، مرجع سبق ذكره، ص ٧.

(١٦) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق محمد بك رمزي، الجزء الرابع، دار الكتب، القاهرة، ١٩٤٢، ص ٢٧٠.

(١٧) عبد القادر عبد العزيز، استخدام الأرض في الجزر النيلية أمام القاهرة، ماجستير" غير منشورة "، (كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٣) ص٢٨.

(١٨) الإدريسي، مرجع سبق ذكره، ص ٣٢٥.، رمية السهم تقدر ب (٤٠٠-٣٠٠ ذراع)، المعجم الوسيط.

(١٩) تقرير وزارة الاشغال والموارد المائية.

(٢٠) محمد عبد العزيز السيد، مرجع سبق ذكره، ص١.

(٢١) عبد العال الشامي، مرجع سبق ذكره،١٩٩٩، ص ١٠٥.

(٢٢) عبد العال الشامي، المرجع السابق، ص١٠٤.

(٢٣) عبد العال الشامي، مرجع سبق ذكره،١٩٩٩، ص١٠٥.

(٢٤) عبد الفتاح وهيبة، جغرافية العمران، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٥، ص ٧٠.

(٢٥) محمد صبري محسوب، أحمد البدوي محمد الشريعي، الخريطة الكنتورية قراءة وتحليل، دار ظافر، الزقازيق، ١٩٩٥، ص ٣٣.

(٢٦) فتحي محمد مصلحي، تطور العاصمة المصرية والقاهرة، تجربة التعمير المصرية من ٤٠٠٠ق.م إلى ٢٠٠٠م، دار المدينة المنورة، القاهرة، ١٩٨٨، ص٢٢١.

(٢٧) عبد العال عبد المنعم الشامي، مرجع سبق ذكره، ١٩٩٩، ص١٥٣.

(٢٨) المقريزي، مرجع سبق ذكره، ج٢، ص١٧٠.

(٢٩) المرجع السابق، ج٢، ص١٧٨.

٣٠) المنظرة ما هي إلا قصر كامل المرافق والمشتملات كان الخلفاء الفاطميون يتنزهون به يومي السبت والثلاثاء من كل أسبوع ويقومون بتوزيع الصدقات والمآكل على الفقراء. السيوطي، كوكب الروضة، ورقة ٢٧.

(٣١) المرجع السابق مباشرة، ص ١٧٠.

(٣٢) ابن دقماق، مرجع سبق ذكره، ج٤، ص١١٠

(٣٣)المقريزي، مرجع سبق ذكره، ج٢، ص٥٩٥..

(٣٤) محمد عبد العزيز، مرجع سبق ذكره، ص٤.

(٣٥) ابن دقماق، مرجع سبق ذكره، جـ٤، ص١٠٩.

(٣٦) ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الله، ت ٢٥٧هـ / ٨٧١م)، فتوح مصر وأخبارها، تحقيق محمد صبيح، (القاهرة، ١٩٧٤)، ص٧٦.

(٣٧) المقريزي، مرجع سبق ذكره، جـ٢، ص١٧٨.

(٣٨) ابن عبد الحكم، مرجع سبق ذكره، ص٩٦.

(٣٩) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، جـ ٣، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩١٩، ص٢٩٤.

(٤٠) المقريزي، مرجع سبق ذكره، جـ١، ص٥٨.

(٤١) القلقشندي، مرجع سبق ذكره، جـ٣، ص٣٣٩.

(٤٢) كان "القلقشندي" دقيقًا في كلامه على بناء حصن ابن طولون حيث ذكر نقلاً عن القضاعي أن أحمد بن طولون "جدد" الحصن الروماني. انظر: القلقشندي، مرجع سبق ذكره، جـ٣، ص٣٣٩.

(٤٣) المقريزي، مرجع سبق ذكره، جـ٢، ص١٨٠، ١٨١.

(٤٤) القلقشندي، مرجع سبق ذكره، جـ٢، ص١٨٠.، جـ٣، ص٣٣٩.

(٤٥) المقريزي، مرجع سبق ذكره، جـ٢، ص١٨٠.جـ٢، ص١٨١.

(٤٦) ابن دقماق، مرجع سبق ذكره، جـ٤، ص١١٦.

- وموضع بستان المختار الآن الجزء الجنوبي من جزيرة الروضة، فقد ذكر المقدسي " أن متنزه أمير المؤمنين عند الخليج (يقصد سيالة الروضة) بموضع يسمى المختارة.. ويلقى الخليج العمود (يقصد عمود المقياس) تحت الجزيرة عند المختارة. انظر: أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ط ليدن، ١٩٠٦، ص٢٠٠.

(٤٧) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، (ط بيروت، ١٩٨٧)، جـ١، ص٣٤٤.

(٤٨) المقريزي، مرجع سبق ذكره، جـ٢، ص ١٨١.

(٤٩) السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، جـ٢، دار إحياء الكتب العربية،١٣٨٧هـ، ص٣٧٩.

(٥٠) ابن ميسر المنتقى من أخبار مصر تحقيق أيمن فؤاد سيد، (نشر المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨١)، ص ١١٠.

(٥١) الإدريسي، مرجع سبق ذكره، ص ٣٢٣.

(٥٢) غبن هذا كان أحد خدام الحاكم بأمر الله، وفي سنة ٤٠٢هـ رقاة إلى منصب قائد القواد وقلده الشرطتين والحسبة بمصر والقاهرة والجيزة، ثم نكبه الحاكم سنة ٤٠٤هـ بقطع يده ولسانه، وحملت يده في طبق إلى الحاكم، ثم أمر الحاكم بقتله سنة ٤٠٥هـ / ١٠١٤م انظر: ابن دقماق، مرجع سبق ذكره، جـ ٤، ص ١١٥، ا

(٥٣) ناصر خسرو علوي (ت ٤٥٣هـ / ١٠٦١م)، سفر نامة، ترجمة يحيى الخشاب، الطبعة الاولى، القاهرة، ١٩٤٥، ص ٦١.

(٥٤) المقريزي، مرجع سبق ذكره، جـ ١، ص ٣٣٧.

(٥٥) السيوطي، كوكب الروضة في تاريخ جزيرة مصر المسماة بالروضة، الدار المصرية اللبنانية، ص ٢٧.

(٥٦) ابن ميسر، مرجع سبق ذكره، ص ٨٧.

(٥٧)ابن إياس، بدائع الزهور ووقائع الدهور، الجزء الأول، القسم الأول، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦، ص٢٧٠.

(٥٨) يمثل الهودج الآن المنطقة التي تقع مواجهة لكوبري الملك الصالح وإلى الجنوب منه بقليل لأنه كان مجاورًا لبستان المختار وكان بستان المختار يقع بآخر الجزيرة، وقد خربهما الملك الصالح نجم الدين أيوب عند بناء قلعته التي كانت تمتد من زاوية البسطامي شمالاً حتى المقياس جنوبًا. هذا ولا تزال زاوية البسطامي قائمة إلى اليوم بعد إعادة بنائها بشارع البسطامي وتقع على بعد ١٢٠ متر جنوب كوبري الملك الصالح.

- وقد أخطأت مصلحة التنظيم حين أطلقت اسم الهودج على أحد شوارع مصر القديمة انظر: محمد رمزي، مذكرة ببيان الأغلاط التي وقعت من مصلحة التنظيم، ص ١٣.

(٥٩) ابن اياس، مرجع سبق ذكره، جـ ١ ق ١، ص ٢٢١، ٢٧١.

(٦٠) ابن ميسر، مرجع سبق ذكره، ص ١١٠.

(٦١) المقريزي، مرجع سبق ذكره، جـ١، ص٤٩٠.

(٦٢) ابن دقماق، مرجع سبق ذكره، جـ٤، ص١١٦.

(٦٣) ابن ميسر، مرجع سبق ذكره، ص٢٣، ٤١، ٤٥.

(٦٤) الرباط هو نوع من الأبنية العسكرية كان يسكنه المجاهدون الذين يدافعون عن حدود الإسلام بحد السيف، وكانت الأربطة منتشرة في صدر الإسلام قبل أن ينتشر الدين ويستتب الأمن وتأمن الدولة الإسلامية على حدودها، وقد كانت في تصميمها تشبه التحصينات الحربية فمعظمها عبارة عن أبنية مستطيلة الشكل وفي أركانها أبراج للمراقبة، ولما زالت عن تلك الأربطة صفتها الحربية أصبحت بيوتًا للتقشف والعبادة تسكنها الصوفية. انظر: المقريزي، مرجع سبق ذكره، جـ٢، ص٤٢٧.

(٦٥) ابن دقماق، مرجع سبق ذكره، جـ٤، ص١١٦.

(٦٦) ابن ميسر، مرجع سبق ذكره، ص٩٣.

(٦٧) ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق حسنين ربيع، (القاهرة، ١٩٧٢، ١٩٧٧، جـ٥، ص٢٧٨، السيوطي.

(٦٨) ابن دقماق، مرجع سبق ذكره، جـ٤، ص١١٠.

(٦٩) المقريزي، مرجع سبق ذكره، جـ٢، ص١٨٣، ٢٩٧.

(٧٠) ابن إياس، مرجع سبق ذكره، جـ١، ق١، ص٢٦٩.

(٧١) المقريزي، مرجع سبق ذكره، جـ١، ص٣٠١، ٣٤١.

(٧٢) كانت هذه القلعة تقع بنهاية جزيرة الروضة فيما بين زاوية البسطامي شمالًا حتى المقياس جنوبًا، ويتضح ذلك من وصف المؤرخين وكتاب وصف مصر، فقد ذكر "السيوطي" عن زاوية البسطامي أنها بنيت في مكان برج الطراز أول أبراج القلعة من جهتها الشمالية، وعلى ذلك يتضح أن القلعة كانت تشغل من الأرض مساحة حوالي ٦٥ فدانًا واقعة في الجزء الجنوبي من جزيرة الروضة، ومكانها المنطقة التي تحد من الشمال بشارع الملك المظفر وشارع البسطامي ومن الغرب نهر النيل ومن الجنوب قصر المناسترلي ومقياس النيل ومن الشرق سيالة الروضة. انظر:
محمد رمزي، تعليقه على النجوم، جـ٦، ص٣٢٠.

(٧٣) المقريزي، مرجع سبق ذكره، جـ٢، ص١٨٣.

(٧٤) اليعاقبة نسبة لمن يتبعون المذهب اليعقوبي أحد المذاهب الدينية المسيحية.
أما عن كنيسة اليعاقبة هذه التي كانت بجزيرة الروضة وكان بابها أمام باب مسجد المستنصر بالله الفاطمي بجوار المقياس فهي قديمة وترجع إلى ما قبل الإسلام، وقد ذكر المؤرخون أنها تنسب إلى ابن لقلق بطرك اليعاقبة، موقع هذه الكنيسة الآن المنطقة التي تقع أمام مدخل قصر المناسترلي بجوار المقياس:
انظر:
ابن المقفع، تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، جـ٢، ص٢١٠، ٢٢٠، جـ٣، ص٥، ٦، جـ٤، ص٧٧، ابن إياس، مرجع سبق ذكره، جـ١، ق١، ص٢٧٠.

(٧٥) ابن دقماق، مرجع سبق ذكره، جـ٤، ص١١٠، المقريزي، مرجع سبق ذكره، جـ٢، ص١٨٣.

(٧٦) المقريزي، مرجع سبق ذكره، جـ٢، ص١٨٣، السيوطي، حسن المحاضرة، جـ٢، ص٣٨٢.

(٧٧) ابن المقفع، مرجع سبق ذكره، جـ٢، ص١٨٣، ابن إياس، مرجع سبق ذكره، جـ١، ق١، ص٢٧٠.

(٧٨) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ط٤، دار المعارف ،١٩٥٣،ص،٢٦،٢٧.

(٧٩) ابن سعيد، المرجع السابق، ص٢٧.

(80) Discription de L'Egyte, Vol XV, p. 465, Omar Toussoun, Memoire Sur L'histoire du Nil, L'Institut D'Egypte le Caire, Tome 2. p. 340, Creswell, The Muslim Architecture of Egypt, Vol.2, p.86

(81) Pococke, A Discription of the East and Other Countries, 2 Vol, London, 1754, P. 29..

(٨٢) *ابن دقماق، مرجع سبق ذكره*، جـ٤، ص١١٦.

(٨٣) المقريزي، *مرجع سبق ذكره*، جـ٢، ص١٨٤.

(٨٤) ابن إياس، *مرجع سبق ذكره*، جـ١، ق١، ص٢٧٢.

(٨٥) ابن دقماق، *مرجع سبق ذكره*، جـ٤، ص١١٦.

(٨٦) محمد عبد العزيز، *مرجع سبق ذكره*، ص١٨، ٧٩

(٨٧) المقريزي، *مرجع سبق ذكره*، ص١٨٥،١٨٤..

(٨٨) ابن دقماق، مرجع *سبق ذكره*، جـ٤، ص١١٦.

(٨٩) على مبارك، الخطط التوفيقية الجديدة، الجزء الثامن عشر، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٣٠٦هـ، ص ١٣.

(٩٠) ابن إياس، مرجع *سبق ذكره*، جـ٣، ص٢٨٣.

(٩١) السيوطي، كوكب الروضة، مرجع سيق ذكره، ص ٢٥ أ .

(٩٢) ابن إياس، مرجع *سبق ذكره* جـ٣، ص٢٨٣.

(٩٣) حسني نويصر، عمائر قايتباي الدينية بمدينة القاهرة، دكتوراة "مخطوطة"، (كلية الآداب جامعة القاهرة، ١٩٧٥).

(٩٤) ابن إياس، مرجع سبق ذكره، جـ٤، ص٢٥٤، ٢٧٦.

(٩٥) ابن الجيعان: التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، طبعة القاهرة، ١٨٩٨، ص١٤٦.

(٩٦) على مبارك، مرجع سبق ذكره، ج١٨، ص ٧.

(٩٧) عبد العال عبد المنعم الشامي، مرجع سبق ذكره، ١٩٩١، ص ١٠٤.

(٩٨) عبد العال عبد المنعم، مرجع سبق ذكره، ١٩٧٣، ص ٤٦٦.

(٩٩) جمال حمدان، مرجع سبق ذكره، ١٩٩٣، ص١١.

(١٠٠) فتحي محمد مصيلحي، مرجع سبق ذكره، ص ص ٦٠، ٦٢.

(١٠١) المقريزي، مرجع سبق ذكره، ج٢، ص١٨٠.

(١٠٢) القلقشندي، مرجع سبق ذكره، ج٣،، ص٣٣٩.

(١٠٣) محمد الششتاوي سند الرفاعي، متنزهات القاهرة في العصرين المملوكي والعثماني، رسالة ماجستير مقدمة لقسم الآثار الإسلامية، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩٤، ص٧٥.

(١٠٤) ابن دقماق، مرجع سبق ذكره، ج٤، ص١٠٩.

(١٠٥) المرجع السابق مباشرة، ص١٠٩.

(١٠٦) ابن إياس، مرجع سبق ذكره، ص٢٧٠.

(١٠٧) المقريزي، مرجع سبق ذكره، ج٢، ص١٨٣.

(١٠٨) رضا إسماعيل أحمد محمد، جغرافية القاهرة زمن المماليك، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم الجغرافيا، كلية الآداب، جامعة القاهرة، غير منشورة، ١٩٩٩. ص٥٧.

(١٠٩) المقريزي، مرجع سبق ذكره، ج٢، ص١٨٤.

– ابن إياس، مرجع سبق ذكره، ص٢٧٢.

(١١٠) محمد عبد العزيز السيد، مرجع سبق ذكره، ص٥٤.

(١١١) المقريزي، مرجع سبق ذكره، ج٢، ص ص ١٩٦– ١٩٧.

(١١٢) عبد العال عبد المنعم الشامي، مرجع سبق ذكره، ١٩٧٣، ص٤٦٦.

(١١٣) المقريزي، مرجع سبق ذكره، ج٢، ص ص ١٨١ – ١٩٧.

(١١٤) رضا إسماعيل أحمد محمود، مرجع سبق ذكره، ص١٧٩.

(١١٥) ابن إياس، مرجع سبق ذكره، ص٢٧٠.

(١١٦) عبد العال عبد المنعم الشامي، مرجع سبق ذكره، ١٩٩١، ص ص ١٠٥–١٥٣.

(١١٧) ابن دقماق، مرجع سبق ذكره، ج٤، ص١١٧.

(١١٨) ابن إياس، مرجع سبق ذكره، ج١، ص٢٧٠.

(١١٩) علي مبارك، مرجع سبق ذكره، ج١٨، ص٩.

(١٢٠) ابن دقماق، مرجع سبق ذكره، ج٤، ص١١٦.، المقريزي، مرجع سبق ذكره، ج٢، ص١٨١..

(١٢١) ابن دقماق، مرجع سبق ذكره، ج٤، ص١١٦.

(١٢٢) المقريزي، مرجع سبق ذكره، ج٢، ص١٨٣.

(١٢٣) ابن دقماق، مرجع سبق ذكره، ج٤، ص١١٥.

(١٢٤) ابن دقماق، مرجع سبق ذكره، ج٤، ص١١٥.

(١٢٥) محمد عبد العزيز السيد، مرجع سبق ذكره، ص٤٨، ٥٢.

(١٢٦) المرجع السابق، ص١١٦.

(١٢٧) علي باشا مبارك، مرجع سبق ذكره، ج١٨، ص١٣.

(١٢٨) ابن دقماق، مرجع سبق ذكره، ج٤، ص١١٦.

(١٢٩) المقريزي، مرجع سبق ذكره، ج٢، ١٨٣.

(١٣٠) المقريزي، مرجع سبق ذكره، ج٢، ص ص ١٦١–١٧٨.

(١٣١) ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، طبعة ليدن، ١٩٣٠، ص٩٦.
(١٣٢) المقريزي، مرجع سبق ذكره، ج٢، ص١٨١.
(١٣٣) الإدريسي، مرجع سبق ذكره، ص١٤٢.
(١٣٤) علي باشا مبارك، مرجع سبق ذكره، ج١٨، ص١٣.
(١٣٥) المقريزي، مرجع سبق ذكره، ج٢، ص ص ١٨٤-١٨٥.
(١٣٦) علي باشا مبارك، مرجع سبق ذكره، ج١٨، ص٩.
(١٣٧) ابن دقماق، مرجع سبق ذكره، ج٤، ص١١٤.
(١٣٨) علي باشا مبارك، مرجع سبق ذكره، ج١٨، ص١٥.
(١٣٩) عبد العال عبد المنعم الشامي، مرجع سبق ذكره، ١٩٩١، ص ص٥٩-١٠٦.
(١٤٠) محمد عبد العزيز السيد، مرجع سبق ذكره، ص٥.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

ابن إياس، بدائع الزهور ووقائع الدهور، الجزء الأول، القسم الأول، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦.

ابن الجيعان، التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، طبعة القاهرة، ١٨٩٨.

ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق محمد بك رمزي، الجزء الرابع، دار الكتب، القاهرة، ١٩٤٢.

ابن دقماق، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، الجزء الرابع، دار الأفاق الجديدة، بيروت، بدون تاريخ.

ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ط٤، دار المعارف ،١٩٥٣.

ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، تحقيق محمد صبيح، (القاهرة، ١٩٧٤.

ابن ميسر المنتقى من أخبار مصر تحقيق ايمن فؤاد سيد، نشر المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨١.

ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق حسنين ربيع، ج٢، القاهرة، ١٩٧٢.

الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، صفة المغرب، وأرض السودان ومصر والأندلس، طبعة ليدن، ١٨٦٨.

السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج٢، دار احياء الكتب العربية،١٣٨٧هـ.

السيوطي، كوكب الروضة في تاريخ جزيرة مصر المسماة بالروضة، الدار المصرية اللبنانية.

القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، جـ ٣، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩١٩.

المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، بيروت، ١٩٨٧.

المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط٢، ج٢، المكتبة الثقافية التاريخية، القاهرة، ١٩٨٧.

المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ط ليدن، ١٩٠٦، ص٢٠٠.

ناصر خسرو علوي، سفر نامة، ترجمة يحيى الخشاب، الطبعة الاولى، القاهرة، ١٩٤٥.

ثانيًا: المراجع

حسني نويصر، عمائر قايتباي الدينية بمدينة القاهرة، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب جامعة القاهرة، ١٩٧٥.

رضا إسماعيل أحمد محمد، جغرافية القاهرة زمن المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الجغرافيا، كلية الآداب، جامعة القاهرة، غير منشورة، ١٩٩٩.

فتحي محمد مصلحي، تطور العاصمة المصرية والقاهرة، تجربة التعمير المصرية من ٤٠٠٠ق.م إلى ٢٠٠٠م، دار المدينة المنورة، القاهرة، ١٩٨٨.

فؤاد فرج، تاريخ المدن القديمة ودليل المدينة الحديثة، الجزء الأول، مطبعة المعارف، القاهرة، ١٩٤٣.

عبد الفتاح وهيبة، جغرافية العمران، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٥.

عبد القادر عبد العزيز، استخدام الأرض في الجزر النيلية أمام القاهرة، رسالة ماجستير" غير منشورة "، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٣.

عبد العال عبد المنعم الشامي، مصر عند الجغرافيين العرب فيما بين القرنين الثالث والثامن الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الجغرافيا، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٣.

عبد العال عبد المنعم الشامي، مدن مصر وقراها في القرن الثامن الهجري، المجلة العلمية لكلية الآداب، جامعة المنيا، المجلد التاسع، العدد (١)، ١٩٩٩.

علي مبارك، الخطط التوفيقية الجديدة، الجزء الثامن عشر، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٣٠٦هـ.

محمد صبري محسوب، أحمد البدوي محمد الشريعي، الخريطة الكنتورية قراءة وتحليل، دار ظافر، الزقازيق، ١٩٩٥.

محمد عبد العزيز السيد، جزيرة الروضة وآثارها الدارسة حتى نهاية العصر المملوكي، رسالة ماجستير مقدمة لكلية الآثار، جامعة القاهرة، غير منشورة، ١٩٧٧.

ثانيًا: المراجع غير العربية

Discription de L'Egyte, Vol XV, p. 465, Omar Toussoun, Memoire Sur L'histoire du Nil, L'Institut D'Egypte le Caire.

Pococke, A Discription of the East and Other Countries, 2 Vol, London, 1754.

Tome, The Muslim Architecture of Egypt, Vol.2.